توظيفُ وسائلِ الإعلامِ لإصْلَاحِ مُفسِداتِ الدِّينِ وَفق هدايات القرآن الكريم ـ

" دراسة استقرائية وصفية "

د. جيرنُوأحمد جَالُّو

الاستاذ المساعد بكلية اللغة العربية – جامعة افريقيا العالمية

المستخلص:

جاء هذا البحث بعُنوان: " توظيفُ وسائلِ الإعلامِ لإِصْلَاحِ مُفسِداتِ الدِّينِ وَفق هدايات القرآن الكريم - " دراسة استقرائية وصفية "، وهو بحثٌ حَيويٌّ، في غاية الأهمية كما هو ظاهرٌ من عنوانِهِ، ويتوقَّعُ أن يكون إضافةً نوعيَّةً للمكتبةِ العربيةِ، والإسلامية والإعلامية، وغيرها من العلوم الإسلامية. ويندرج ضمن البحوثِ الوصفية، التحليلية؛ كونُه الأنسبُ لعُنوانِهِ. ويرمي البحثُ إلى تحقيقِ أهدافٍ عديدةٍ جِمَاعُهَا: معرفةِ دورِ توظيفِ الإعلامِ في إبرازِ مُفسِداتِ الدينِ في القرآنِ الكريمِ، وبيانِ الحلولِ لَهَا. كما خَلُصَ إلى العديدِ من النتائجِ: من أهمِّهَا: رأسُ مالِ الإنسانِ هُوَ " دينُهُ " الذي خُلِقَ من أجلِه؛ لا ينبَغِي أن يُؤْتَى مِنْ قِبَلِهِ بأيِّ شَيءٍ من مُفسِداتِهِ، ويُعتَبرُ القرآنُ الكريمُ المصدرُ التشريعِيُّ الأوَّلُ بلا مُنازِعٍ، ثم السنة النبوية الصحيحةُ، وما انبثق عنهما، وأنّ السُّنَّةَ الشريفة الصحيحة، هِي مثل القرآن الكريم في الاحتجاجِ، لا في الإعجازِ، ونحوها من المزايا التي هي من خصائصِ القرآنِ الكريمِ. وهناك مفسداتٌ للدين واضحاتٌ، وأخرَى غامضاتٌ، وباهتاتٌ، وأن للإعلام دورا لا يُستَهانُ بهِ في إصلاحِ ما عطب من الدِّين، وضرورة التكامل بين جميعِ أنواعِ الإعلامِ، كما أن من الأهميةِ بمكانٍ تكامُلُ " الإعلامِ " مع باقي وسائلِ التربيةِ الأخرَى: كالأُسرَةِ، والشَّارعِ، والمُرَبِّي، والمَسْجِدِ، والمدرسة، والجامعة، وغير ذلك من المؤسسات التربوية؛ ذلك لأن العمليةَ الإصلاحِيَّةَ تقومُ بها منظومةٌ متكاملةٌ؛ لتُؤتِيَ أُكلَهَا؛ وإلا ظهرتْ باهتَةً، ومنقوصة بقدرِ تفويتِها لما تقدَّمَ ، كما خلُص البحث إلى العديدِ من التَّوصياتِ،

والمقترحاتِ.

المقدمة:

جاءَ البحثُ؛ لبيانِ عظمةِ دينِ الإسلامِ، مُمَثَّلةً في مَصْدَرَيِ الوَحْيِ: أ- القرآنِ الكريمِ الذي ﴿ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ ﴾[1] والذي نَسَخَ اللهُ بِهِ الشَّرائعَ السماويةِ الأُخرى؛ فلا يقبل من أحدٍ دينًا سِواهُ، كما قال – جَلَّ وَعَلا – مؤكِّدًا ذَا المَعنَى بجَلاءٍ لا يُخامِرُهُ أدنَى ريبٍ؛ ولتكونَ للعالمينَ حُجَّةً لَمَن ائتمَرَ، وحُجَّةً على منْ أَعرَضَ عنْ ذِكرِهِ: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾؛[2] فبذلك حسمَ الموقف، ووَجَّه إلى ضَرورةِ اتِّباعِ هذا الدين القويمِ – الإسلامِ –، والصِّراطِ المستقيمِ، ونبذِ ما عدَاهُ من السُّبُلِ التي يمكن أن تَفرَّقَ بالثَّقلينِ: كصراطِ المغضوبِ عليهم، والضَّالِّينَ، ومَنْ لَفَّ لَفَّهم من ذَوِي العقائِدِ المُنحرِفةِ، من خوارج، ومعتزلةٍ، وأضْرابِهم من أهلِ السُّبلِ الزَّائغةِ في غيرِ ما بلدٍ، أو عصرٍ.

ومع وُضُوحِ ما تقدَّمَ؛ إلا أنَّ الخلقَ في ذلك "مؤمنون"، ويقابلهم "الكافرون"،

(١) الإسراء: ٩.

(٢) آل عمران: ٨٥.

وثَمَّةَ قسمٌ بين الاثنينِ ثَالِثٌ: ﴿ مُّذَبۡذَبِينَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلٗا ﴿١٤٣﴾ ﴾ ،(١) وهم في نهايةِ المطافِ أحدُ فريقين: ﴿ فَرِيقٞ فِي ٱلۡجَنَّةِ وَفَرِيقٞ فِي ٱلسَّعِيرِ ﴿٧﴾ ﴾(٢)، وكما أنّه في القرآنِ الكريم سورٌ مختصة تحملُ أسماءَ الأقسام المذكورة، وهي سورة: " المؤمنون "، و" الكافرون "، و"المنافقون "، عِلْمًا بأَنَّهُ قد بُثَّتْ باقي صفاتِهم فيما لا حصرَ لَهُ من سورِ القرآن الكريم، وآيِهِ.

وَمِنَ الواضِحِ للعاقلِ – نَاهيك عنِ العَالِمَ – أنَّ انشِطَارَ الخليقةِ إلى الفريقَينِ المذكورينِ لم يأتِ عبثًا؛ بل جاءَ ذلك نتيجةً لطاعةِ أَهلِ الجنَّةِ، ومعصيَةِ أربابِ السَّعيرِ فيمَا به كُلِّفُواْ، وذلك يُبرزُ حقيقةَ أنَّ: ﴿ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيۡسَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ﴿١٨٢﴾ ﴾،(٣) كما ورد ذاتُ المعنَى في مواضِعَ أخرى من الذِّكرِ الحكيم: ﴿ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيۡسَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ﴿٥١﴾ ﴾،(٤) وقال: ﴿ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتۡ يَدَاكَ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيۡسَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ﴿١٠﴾ ﴾؛(٥) ونظيرُ ذلك كثيرٌ في الأحاديثِ الصَّحِيحَةِ،

(١) النساء: ١٤٣.

(٢) الشورى: ٧.

(٣) آل عمران: ١٨٢.

(٤) الأنفال: ٥١،

(٥) الأنفال: ٥١.

والصريحةِ في هذا المَعْنَى؛ فما دورُ الإعلامِ في إبرازِ "مُفسِداتِ الدِّينِ"، وتقديمِ حلولٍ عمليةٍ عليها؛ لَعَلَّ ذلك يكونُ عونًا فِي تحقيقِ عمليةِ "الفَلَاحِ" التي من أجلِها يكدَحُ كلُ مُؤْمِنٍ في العاجلةِ؟! هذا ما جاءَ البحثُ لتسليطِ الضَّوءِ عليهِ. وقد عَنونَ لهُ الباحثُ بِـــ: "توظيفُ وسائلِ الإعلامِ لإِصْلَاحِ مُفسِداتِ الدِّينِ وَفق هدايات القرآن الكريم- "دراسة استقرائية وصفية "؛ وعليه فمنَ البيِّنِ مِن العُنوانِ أَنَّ البحثَ يُوَظِّفُ وَسائلِ الإعلامِ المختلفةِ (قديمة/ وجماهيرية/ وإعلام جديد- بما في ذلك شبكاتُ التَّواصُلِ الاجتماعِيِّ)؛ لإِصْلَاحِ مُفسِداتِ الدِّينِ، وحَالِقَاتِهِ، أو ناقضاتِهِ، -والتي أولاها البحثُ- عنايةً كبيرَةً ولا تتمُّ العمليةُ الإصلاحيةُ المذكورةُ؛ إلَّا وَفقًا لِهدَايَات القرآنِ الكريمِ؛ ذلك لقضيَّةٍ هي مِنَ الْمُسَلَّمَاتِ كما قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ ﴾؛[1] ولأنّ أي إصلاحٍ بمعزل عن هداياتِ القرآن الكريم؛ فهو الأبتر، ويمثِّلُ ضَيَاعًا للوَقْتِ.

وجاءَ تقسيمُهُ إلى: مقدمةٍ، -وهي التي بين يدي القراءِ الكرامِ-، وإلى المباحثِ التَّالِيَةِ: المبحث الأول: مُفسداتُ الدِّين، والمبحث الثَّانِي: هدايَاتُ القرآنِ الكريم، والمبحث الثَّالث: توظيفُ وَسائلِ الإعْلامِ للإِصْلاحِ، وخاتمة حَوَتْ أهم النتائجِ، والتوصياتِ، والمقترحاتِ.

(١) الإسراء: ٩.

ومن نافلةِ القولِ أنّه ليسَ المقصودُ حصر مفسدات الدين؛ إذ تقَصِّيها يفتقِرُ إلى جَهدٍ أكبر، وتَفَرُّغٍ أوسَعَ؛ فذلك بابٌ واسِعٌ؛ إذ يحتاجُ لمجلداتٍ عِظَامٍ، وأسفارٍ ضِخَامٍ؛ ولكنَّ " الإشارةَ تكفي لِمَنْ عَقَلَ " على حدِّ تعبيرِ المثلِ العربِيِّ الشَّهيرِ. وقد اشتُهِرَ عن صاحبِ سِرِّ رسولِ اللهِ - حذيفة بنِ اليمانِ – رضي الله عنه، ورضي عن سائرِ الصحابةِ – أَنَّهُ كانَ يسأل رسول الله عن الشَّرِّ؛ مخافة أن يدركَهُ، وكما قال الشاعرُ:

عرَفت الشر لا للشر ولكن لتوقيِّه ومن لا يعرف الشر من الخير؛ يقع فيه

سبب اختيار الموضوعِ: هناك العديد من الأسباب التي أدت لاختيارِ الموضوع، بعضُها ذاتية، وبعضُها الآخرُ موضوعيَّةٌ:

أ - الأسباب الذاتية:

- رغبةُ الباحثِ في تناول مثل هذا العنوان منذ عَهدِ الصِّبَا، فنعومةُ الأظفارِ، حتى يوم الناس هذا.

ب - الأسباب الموضوعية:

- عَظمةُ العُنوانِ؛ إذ أنه يتناول موضوعًا مَصيريًّا، يلزَمَ جميعَ الخلقِ إدراكَهُ على وجهِهِ؛ وإلا سبب لهم ذلك مآلاً لا يُحمَدُ عُقباهُ، عِيَاذًا باللهِ – تعالَى -.

- قِلَّةُ، لا بل نُدرةُ الموضوعات التأصِيليَّةِ، التي تربط بين العلوم الإنسانية، - وأشباهها - وبين الأحكامِ الشرعية، والمقاصد الدينية،

ونحو ذلك.

- انصرافُ معظمِ عناوينِ كتبِ الإعلامِ إلى قضايا الحياةِ، والمادةِ، والتقنية، وغير ذلك، والقليل منها هي التي تتعلق بالموضوعات المصيريِّةِ.

مشكلة البحث: تكمن مشكلة البحث في الإجابةِ عنِ السُّؤَالِ الرئيسِ:

ما مدى فاعلية وسائِلِ الإعلام في استخدام هدايات القرآنِ الكريمِ لإصلاحِ مفسداتِ الدِّينِ؟

ويتفرَّعُ عن هذا السؤال الجوهري عددٌ من الأسئلةِ الفرعية:

أسئلة البحث:

1- ما مُفسداتُ الدِّين في القرآنِ الكريمِ؟

2- ما هدايات القرآنِ الكريمِ؟

3- ما مدى توظيف وسائِلِ الإعلام لإصْلاحِ مُفسِداتِ الدينِ وَفق هدايات القرآنِ الكريمِ؟

4- ما أهم الحلولُ المقترحة في هذا البابِ؟

فروض البحث:يفترضُ البحث الآتي:

1/ مُفسِداتُ الدِّين في القرآنِ الكريمِ هي تلك الأشياء التي باقترافِ المُكلَّفُ لَهَا؛ يصيرُ في دينِهِ اعوِجَاجٌ، وهي على دَرَكَاتٍ في خُطُورَتِهَا، وبالتوبةِ النصوح

يستقيمُ أمرُه، ويذهب الاعوجاج؛ فيبقَى مستقيمًا كما أُمِرَ.

2/ هِدَاياتُ القرآنِ الكريمِ هي تلك النصوص التي هَدَى الله فيها الأَنَامَ للتِي هِيَ أقوَم، وذلك في جميع الصُّعُدِ التي تتعلَّق بالدنيا، والآخرة.

3/ للإعلامُ دورٌ إصلاحيٌّ في إصلاحِ مَا عَطبَ من دِينِ المرءِ، وخُلُقِهِ؛ ولا يكون ذلك إلا إذا كان إعلامًا إسلاميا، وهادفًا؟

4/ ما مدى توظيف وسائِلِ الإعلام لإصْلاحِ مُفسِداتِ الدينِ وَفق هداياتُ القرآنِ الكريمِ؟

5- مِن أهم الحلولِ المقترحةِ في هذا البَابِ أن يكون الإعلامُ الهادِفُ شريكًا لمنظومةٍ إصلاحيَّةٍ شَاملةٍ؛ لِيستقيمَ الظِّلُّ، بعدَ أن ينأى العُودُ عنِ الاعوِجاجِ؛ فتكون الاستقامةُ التي أرادَها الله - تبارك وتعالَى -.

منهج البحث:استخدم البحثُ:

أ/ المنهجَ الاستقرائِيَّ: وذلك؛ لاستنباطِ الهداياتِ من آياتِ القُرآنِ الكريمِ. والمنهجُ الاستقرائِيُّ: هو ذلك المنهج الذي يبدأُ بالجزئيَّاتِ؛ ليَصِلَ منها إلى قَوانينَ عَامَّةٍ، وهو يعتمدُ على التَّحَقُّقِ بالمُلَاحظَةِ المُنَظَّمَةِ الخاضِعةِ للتَّجريبِ، والتَّحكُّم في المتغيِّراتِ المُختلِفَةِ.(١)

(١) محمد أحمد درويش، مناهج البحث في العلوم الإنسانية، ط/ 1، مؤسسةُ الأُمَّةِ العربية للنشرِ والتَّوزيع،1439ه- 2018م، جمهورية مصر العربية، ص: 71، بتصرُّفٍ.

ب/ **المنهجَ الوَصْفِيَّ**: وذلك؛ لأنّه يندرج –من هذا الاعتبار– ضمن البحوثِ الوصفية، التحليلية، وغيرُ خَافٍ مناسبةُ المنهجَيْنِ المذكورين للبحثِ: **"والأسلوب الوصفي**: هو نوع من أساليبِ البحثِ، يدرُس الظواهرِ الطبيعيّةَ الاجتماعيّة، والاقتصاديّة، والسياسيّة الراهنة دراسة كيفيّةً توضّح خصائصَ الظّاهرة، وكمّيّةً توضّح حجمَها وتغيّراتِهَا ودرجاتِ ارتباطِها معَ الظّواهرِ الأُخرَى.[1] ويعتَبَرُ من المناهجِ الرَّئيسَةِ المستخدمة في البحوثِ الإنسانية، والاجتماعيَّةِ، ويعتمدُ على دراسةِ الواقعِ، أو الظَّاهرةِ كما توجَدُ في المَيْدَانِ، ويهتم بوصفِهَا وصفًا دقيقًا، ويُعَبِّرُ عَنْهَا تعبيرًا كَيْفِيًّا، أو كَمِّيًّا.[2]

أهداف البحث: يرمي البحثُ إلى معرفةِ دورِ توظيفُ وسائلِ الإعلامِ لإِصْلَاحِ مُفسِداتِ الدِّينِ وَفق هدايات القرآن الكريم، وبيانِ الحلولِ لَهَا.

أهمية البحث: يتوقع الباحث أن يفيد البحثُ بعدَ الفراغِ منه الأفرادَ، والش ـرائح التاليةَ:

أ – المؤسسات المعنية بالقرآن الكريم، وعلومه.

(١) سيف الإسلام سعد عمر، مذكرة في منهجِ البحثِ العلميِّ وأساليبه في التّربيةِ والعلومِ الإنسانيّة، ط/ بدون، ديسمبر 1994م، ص 35.

(٢) محمد أحمد درويش، ص: 70، بتصرُّفٍ.

ب - المختصون في القرآن الكريم، وعلومه خاصة.

ت - المختصون في فروع الشريعة عامة.

ث - القُرَّاء.

ج- المختصون في مجال الإعلام، وعلوم الاتصال.

د ـ جميع المسلمين و غير المسلمين.

أدواتُ البحثِ:

سلكَ الباحثُ في بحثِهِ الأساليبَ العلميّةَ، والطرق المنهجيّةَ المعروفة؛ فكان من أهم الأدوات التي استخدمها " الملاحظةُ "، وهي: (وسيلةٌ من وسائلِ جمعِ البياناتِ أو المعلوماتِ، بل لعلّها من أدقّ وسائلِ البحثِ، وتُستَعمل في كلِّ أنواعِ البحوثِ، وبخاصّةٍ في المسحِ والتّجريبِ، بل يمكن القول: إنّ التّجربةَ العلميّةَ هي عبارة عن ملاحظة مضبوطة مسيطر عليها. وقد استخدمت الشعوبُ الملاحظة في الماضي وفي الحاضرِ؛ لما لها من الأهمّيّةِ البالغةِ). (١)

كما أنّ الباحث استخدم الكتب، والمجلات، والصّحف، والشبكة العنكبوتيّة، ونحو ذلك.

حدودُ البحثِ:

(١) سيف الإسلام سعد عمر، المرجع سابق، ص 59، بتصرف من الباحث.

1- **الحدودُ الموضوعيةُ:** توظيفُ وسائلِ الإعلامِ لإِصْلَاحِ مُفسِداتِ الدِّينِ وَفق هدايات القرآن الكريم - " دراسة استقرائية وصفية.

2- **الحدودُ المكانيّة:** لا يخص البحثُ مكانًا دونَ مكانٍ.

3 - **الحدود الزمانيّة:** كما لا يقتصرُ على زمانٍ من دون زمانٍ آخرَ؛ لصلاحيتِه لكل مكانٍ، وزمان؛ لِأَنَّ ذلك مُستَمَدٌّ مِن طبيعةِ موضوعِهِ.

مجتمعُ البحثِ: الأمة كلها: المؤمنون، وغير المؤمنين؛ وإن كان البحث مُتوجِّهًا لأهلِ الإيمان بوجهٍ أَخصَّ؛ لأنّهم الذين يستفيدون من مثلِ هذه العناوين أكثرَ؛ إلا مَن أراد له الله الخيرَ من أهلِ المِلَلِ الأُخرَى.

عَيْنَةُ البحثِ: المؤمنون – المنافقون – الكافرون - ونحوهم ممن أشارَت إليهم المقدِّمةُ - مِمَّنْ يدخلون جميعُهم في أمتي الإجابةِ، والدَّعوةِ.

مصطلحاتُ البحثِ:

يقتصر البحث على أهم المفاهيم؛ ليلتزم الإيجاز، الذي لا يتأَتَّى معه ذكر المفاهيم اللغوية، ثم الاصطلاحية، ثم الإجرائية، ويكتفِي بالمُناسِبِ من كلِّ ذلك؛ لِوُضُوحِهِ:

فَفِي إطارِ هذا البحث يقصد بالمفردات، والعبارات الآتية بما هو مُثبتٌ تُجَاهَهُ:

توظيفُ: استخدام.

- **الإعلام:** المراد وسائل الإعلام، والاتصالِ أعمُّ من الإعلامِ؛ ولكن لا حرجَ في استخدامِ الثَّاني مكانَ الأول؛ لمبرِّرَاتٍ يذكرهَا أ. د عوض إبراهيم

عوض في العديدِ من كتبه، مفرِّقًا في ذلك بين اللغةِ الإنجليزية التي لا يسوغ فيها ذلك؛ لأنّ الأولَى بمعنَى: Information، بينما تعنِي الثانية: Communication.[1]

ويدخلُ في وَسَائِل الاتصال: "القديمة" منها، و "الجماهيرية"، و "الإعلام الجديد" بما في ذلك "شبكاتُ التَّواصُلِ الاجتماعيِّ".

الإِصْلَاحُ: هذا المصطلح هو الأَوْفَقُ مِن مُفردةِ "التغييرِ" التي تحمِلُ وجهينِ اثنَيْنِ: إيجابِيٍّ، وسَلْبِيٍّ؛ على النقيضِ من "الإصلاحِ"؛ فلا تَنصَرِفُ إلَّا إلى المَعنَى الإيجابيِّ: على غرارِ قولِ النَّبِيِّ الكريم: ﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَرَزَقَنِى مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ ۚ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾ ﴾.[2]

- **وَفق**: على ضوءِ، أو في منظورِ، أو في رأيِ كَذَا...
- **هدايات القرآن الكريم**: هِداياتٌ جمعُ هدايةٍ، والمَقصُودُ بها تلك التَّوجيهَات الواردة فِي القُرآنِ الكَرِيمِ والتي فيها فلاحُ الخلقِ عاجلا، وآجِلًا.

(١) راجع كتب عوض إبراهيم عوض، وغيره من خبراء اللغة والإعلام في هذا الخصوص، فضلا، لا أمرًا.

(٢) هود: ٨٨.

- **مُفسدات**: جمع مفسد، وهو ضدُّ المُصلِح.
- **الدين**: هو الدين الإسلامي، الذي نسخ الله به جميع الشرائع الأخرى.
- **مُفسداتِ الدينِ** : هي ضد مصلِحات الدين؛ فالإقدامُ على واحدةٍ من مفسداتِ الدينِ؛ يضع صاحبَه على خطرٍ عظيمٍ؛ فقد يفسُقُ، وقد يُعَدُّ مبتَدِعًا بدعةً مفسقةً، أو مُكَفرةً، وقد يكفر؛ وذلك بحسب ما أقدم عليه من مُفسداتِ الدينِ، كما هو منصوصٌ عليهِ في كتبِ الشريعةِ.
- **القرآن الكريم**: هو آخر الكتب السماوية، وأجمعها، وقد نسخ الله به الشرائع الأخرَى.
- **دَوْر**: كلمة فضفاضة، وقد كثُر طَرقُهَا عندَ الباحثين، وجمعها أدوار: أي المَهَامُّ، أو المهمات، أو الواجبات، أو نحو ذلك من المفردات.[1]
- **إبراز**: توضيح، وبيان.
- **إيجاد حلول إصلاحية**: المقصود من ذلك توفيرُ مقترحاتٍ، ورُؤَى نافذةٍ تُثْمرُ في وجودِ نتائجَ تحقق الأهدافَ المنشودةَ.

(١) ومن الأخطاء الشائعة قولهم: لعب دورًا، والفصيحُ: قام بدورٍ، أو أَدَّى دورَا، ومنشأُ الخطأ استيراده أو ترجمته من اللغات الأجنبية حرفيًّا: Play a role بالإنجليزية، و jouer a role بالفرنسية ...

- **دَوْرٌ إِصْلاحِيٌّ**: سبق التعريف عن دور مُفردةً، وهي هنا مركبة، وتعنِي: الدور الجيد، والمتميِّز الذي يُؤَدِّي إلى الإصلاحِ، أي: نحوَ الأحسنِ، لا العكس.

- **الإصلاح**: مفردة الإصلاح تعنِي إلى الأحسنِ -دائمًا-، بالضرورة، كما جاءَ في قوله تعالَى على لسان نبيٍّ لهُ: ﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ ۚ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾،[1] وهي أوفقُ من كلمةِ التغييرِ :(Change) ـ ذائعةِ الصِّيتِ ـ التي قد تكون للخيرِ، أو للشَّرِّ .

- **المؤمنون**: الذين اعتنقوا الإسلام دينا، وآمنوا به جلةً، وتفصيلاً.

- **الكافرون**: هم على النقيضِ من أهلِ الإيمانِ؛ فهم الذين كفرواْ باللهِ، وبقضايا الإيمانِ.

- **المنافقون**: هم الذين يظهرون الإيمان، ويستبطنونَ الكفرانَ، وهم في الدرك الأسفلِ من النَّارِ، كما نطق بذلك القرآنُ الكريمُ.

(١) هود: ٨٨ .

- المناهجُ الزائغةُ: كلُّ مَنْهَجٍ

الدراسات السابقة:

لم يعثر الباحث على رسائل علمية شاملة لعُنوانِهِ؛ وإن كانت بعض موضوعاته مبثوثةً في دراسات متفرقة.

ه يكل البحث:

تناولَ المحور الأول: مُفسداتُ الدِّين، ثم أردَفَه الباحثُ بالمحورِ الثَّانِي الذي عالجَ: هدايَاتِ القرآنِ الكريم، تلاهُ المحورُ الثَّالثُ: توظيفُ وظائفِ الإعْلامِ للإصْلاحِ؛ ليبحثَ عن البلسَمِ الشَّافِي لقضيةِ مفسِداتِ الدين. ثم انتهى البحثُ إلى خاتمةٍ تَضَمَّنَتْ أهمَّ النتائجِ، والتوصياتِ، والمقترحاتِ.

ماذا يضيف البحث للفكر الإنساني عامة؟ والتربوي خاصة؟ والشَّرعي بوجهٍ أَخَصّ؟

يُتَوَقَّعُ من البحثِ أن يُضيفَ للفكرِ التربوي، والإنساني؛ نظرًا لأنه يُرجَى منه أنه يحقق الآتي:

1. لعُنوانِه الشاملِ، والذي لا يستثنَى منه أحد المبتدئ والمنتهي، المؤمن والفاسق، والمنافق، والكافرُ.
2. طبيعة التناول.
3. طبيعتُه التأصيليةُ، واهتمامه الفائق بالقرآن الكريم، مع عدم

إهمالِهِ للسُّنَّةِ الصحيحةِ؛ فهما صنوان.

4. التصحيح للكثيرِ من المفاهيمِ الخاطئةِ.

5. الإضافة العلمية الجديدة.

6. التجسيرُ ما بين العلوم الدينية، والإنسانية، والوعظية والإرشادية، في قالبٍ علمي.

7. اتباع الخطوات العلمية للمنهجية البحثية.

8. الإفادة من المصادر، والمراجع المهمة، و التجارب الهادفة..

9. أسلوب السهل الممتنع.

10. فتح الباب للدارسين؛ لسلوك سبيلِهِ.

11. توظيف وسائل الإعلام في معالجةِ القضايا المصيريَّةِ (الأُخروية)، بدلا من استخدامِها في القضايا التي لا تسمن ولا تغنِي من جوعٍ.

12. الإسهام في ربطِ الشَّرع ـيينَ بمجالِ الإعلامِ، وحثهم على الاستفادة من طاقاته الكامنة فيما يحقق رضَى الله تعالى، ويوجب الفوز بجناتِ الفردوسِ الأعلى؛ بعدَ إذنِهِ، ومنِّهِ، وتوفيقه –جلَّ جَلالُه–.

واللهَ المسؤُولُ أن يكتبَ لِلباحثِ ولِقَلَمِهِ السَّدَادَ، والقُرَّاءَ الكرامَ – أينَمَا حَلَّتْ رِكَابُهُم –، وأن يجعلَهُ خالِصاً لوجه الكريم ، وعلى السُّنَّةِ صَوَابًا، وأن

يجزِيَ خيرًا مَنْ دَلَّ عليها، وعلى مَنْ نشَرَها، وحَكَّمَهَا، وأفادَ منها، إنه قريبٌ مجيبُ الدعواتِ، وإنه - كذلك - ﴿ نِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٤٠﴾ ﴾. (١)

المبحث الأول : مفسدات الدين

هذا صميم البحث الذي من أجلِهِ سَطَّرَ الباحثُ هذه السطور، وفيه بيانٌ لأهم مفسداتِ الدِّينِ في القرآنِ الكريمِ. ونظرًا لخُطورةِ الشأنِ؛ فإنَّ الباحث رأى أن يفرد له مساحةً – وإن مُوجَزَةً - ؛ من بابِ:

عرفتُ الشَّرَّ لا للشَّرِّ * ولكن لِتَـوَقِّيهِ

وَمَنْ لا يعرِف الخيرَ * من الشَّرِّ؛ يَقَعْ فيه

وهنا سيكتفي الباحثُ بإيردِ نماذج سريعةٍ، على عجلٍ؛ حسب ما يقتضيه مقامُ البحثِ الذي لا يتأتَّى معه التفصيل التَّامُّ؛ ولكنْ عسَى اللهُ – بمَنِّهِ – أن يُسددَ القلمَ للإيجازِ غيرِ المُخِلِّ، بحولِهِ تعالى، وقوتِهِ؛ فإنَّ البلاغةَ في الإيجازِ، وهو متناسب مع أهلِ الزَّمانِ الذين كادواْ يعزِفونَ عن القراءةِ باسمِ رَبِّهِم؛ إلا مَن رَحمَ؛ فكانَ من المسَدَّدِينَ.

المفسدُ الأول: مُلوك الجَوْرِ:

لقد قتل علماءُ اللغة كلمة (ملك) بحثاً؛ فأغنّى ذلك عن إيراده، وليرجع القارئ إلى

(١) الأنفال: ٤٠ .

معاجم اللغة العربية، وقواميسها؛ فإنّه نفيس للغاية؛ [1] ولكن يمكنُ الإشارةُ إلى أنَّ الملوك: جمع ملك، وهم الولاة، والسلاطين، والرؤساء الذين وَلَّاهُم اللهُ أمرَ الرعية.

وبعبارة أُخرى، يمكن القول بأن الملك: كل من ولاه الله ملكا، أو ولايةَ الخليقةِ، سواء أكانوا صالحين، أو طالحين.

و(المَلِك) حقيقةً هو اللهُ ﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴾ [2] ومُرَبِّي الخلق – بنعمه – أجمعين، لا شريك له في العالمين، لا رب سواه، ولا رازق غيره؛ فالخلق خلقُه، والملك ملكه لا يملك أحد أحدا؛ ولا شيء شيئًا؛ إنما ذلك كله ملك الله الذي لا ينفد، بخلاف ملك المخلوقين النافذ، وكل ذلك عاريةٌ، وتمحيص، وابتلاءٌ. وقول ربنا (مالك يوم الدين)، لا تعني انحصارُ ملكه – بيومِ الجزاء – كما قد يتبادر، وكما تقدمت الإشارة إليه؛ ولكن ليبين أنّ مَنْ ادّعى ملكا في الدنيا؛ فلن يتمكن من فعل ذلك يوم الجزاء!

والمقصود بالملوك هم (الظلمةُ) منهم، و(الفسقةُ)، و(الكفرة)، من الذين لا يخافون الله لا في أنفسهم، ولا في رعاياهم. فهل يتنبه ملوكُ اليومِ لذلك؟! أم هل اتخذ ملوكُ الزمانِ عبرةً من طائشِي الملوكِ السابقينِ، وحَمْقَاهُم، وَمَنْ أَصَرَّ منهم أن يُبَدِّلَ نعمةَ الله كفرًا، وأن يحل قومَه دارَ البوارِ كفرعون، وقارون، وغيرهما من الجبابرة الذين طغواْ في

(١) راجع لسان العرب لابن مكرم بن منظور الإفريقي، ثم الأندلسي، والمعجم الوسيط، ومنجد اللغة الأعلام، مادة (ملك).

(٢) الفاتحة: 4.

بلادِ الله تعالى، فأكثرواْ فيها الفسادَ، والعناد، والجحود، والتكذيب بآيات الله البيناتِ؟! والجوابُ – يا صاحِ – مُدْرَكٌ؛ وهو بالنفي؛ – إلا من رحم الله –، وقليل ما هم، وخاصةً في زماننا المعاصر الذي أضحى فيهِ (الملك العادل) أندرَ من النادرِ عينِه! ومن استبصرَ حالَ مُلوكِ اليوم؛ وجدَ الشرَّ بينَهم مُستطيراً، والفسادَ منتشراً، والعدلَ يكاد يكون مُنعدماً، إلى أقاربِهم قد هَبُّواْ؛ فأَنْطَوْهُم [1] فأكثرواْ حتى بمالِ الشَّعْبِ المسكين اغتنواْ – ولا حولَ ولا قوة إلا بالله –؛ وكان المأمولُ منهم أن يعدلوا بين جميعِ الشعبِ؛ مثلما فعل سيدُ ولدِ عدنان الحبيب، محمد صلى الله عليه وسلم، وكما فعل صحبه الكرام – وخلقٌ لا يُحصَون من الصالحينَ –، وبخاصة عمر بن الخطاب، وعمر بن عبد العزيز مَنْ في الدُّنا نشرواْ قيمَ العدلِ، والمساواة، والصدق، والنزاهة، والشفافية، وحقوق الإنسانِ، والجيرانِ، والصحبانِ، بل وحتَّى الحيوانِ، وغيرها ذلك مما نعلَمُ ومما لا يبلُغه علمُنَا... فهؤلاء أساتذةُ الدنيا في بسطِ قيم العدل، وبالتالي جميع القيم الإسلامية، والإسلامية الأخرى، كلُّ ذلك معَ نُكرانٍ للذات، وترك لحظوةِ النفسِ. وتُعتبَر هؤلاء الملوك الظلمة هم أعظم شريحةٍ في العالَمِ قد أفسد ت الدين على حدَّ تعبيرِ الشاعرِ، والفقيهِ الكبيرِ، والمجاهدِ – الذي لا يبرحُ الثغورَ – والزاهدِ المبارك عبدِ الله بن المبارك:

وهل أفسد الدين إلا الملوك * * * وأحبار سوء ورهبانها

(١) أنطوهم لغةٌ من أعطَوهم، ومن ذلك القراءة الشاذة (إنا أنطيناك الكوثر)،الكوثر: 1..

وذلك ضمن قصيدته الشهيرة، وأبياتِهِ السائرة التي تنم عن شعره القوي، والنافع، والسهل الممتنع، وعن مذهبه، وفقهه الواسع:

رَأَيْت الذُّنُوبَ تُمِيتُ الْقُلُوبَ * * * وَقَدْ يُورِثُ الذُّلَّ إدْمَانُهَا

وَتَرْكُ الذُّنُوبِ حَيَاةُ الْقُلُوبِ * * * وَخَيْرٌ لِنَفْسِك عِصْيَانُهَا

وهل أفسد الدين إلا الملوك * * * وأحبار سوء ورهبانها

وباعوا النفوس فلم يربحوا * * * ولم تغل في البيع أثمانها

لقد وقع القوم في جيفةٍ * * * يبين لذي اللب إنتانها[1]

والشاهدُ في هذا المقام، قولُ المبارك عبد الله بن المبارك: وهل أفسد الدين إلا الملوكُ

جاء في تفسير الماوردي في معرض حديثه عن ملكة سبأ (... قال مجاهد: كان تحت يدي ملكة سبأ اثنا عشر ألف قيل تحت كل قيل مائة ألف مقاتل، وهذا بعيد. ﴿وَٱلْأَمْرُ

(١) وله الأبيات الشهيرة التي وجهها من ساحات الجهاد إلى الفقيه الفضيل بن عياض الذي لازم الحرمين متعبداً، يقول له فيها:

يا عابدَ الحرمين لو أبصرتنا * * * لعلمتَ أنّكَ في العبادة تلعَبُ

من كانَ يخضبُ خدّهُ بدموعهِ * * * فنحورنا بدمائنا تتخضَّبُ

أو كانَ يُتعبُ خيلهُ في باطِلٍ * * * فخيولُنا يومَ الصبيحَةِ تتعبُ

ريحُ العبيرِ لكم ونحنُ عبيرُنا * * * رهجُ السنابِكِ والغبارُ الأطيبُ

إِلَيْكِ ﴾ [النمل: 33]. عرضوا عليها الحرب، وردواْ إليها الأمر، قال الحسن: ولّوا أمرهم علجة يضطرب ثدياها، حدث أبو بكرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لَنْ يُفْلِحَ قَوْمٌ تَمْلِكُهُمُ امْرَأَةٌ. قوله: ﴿ قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا ﴾ قال ابن عباس أخذوها عنوة، وأفسدوها، وخربوها. ويحتمل وجهاً آخر: أن يكون بالاستيلاء على مساكنها وإجلاء أهلها عنها. ﴿ وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً ﴾ أي أشرافهم وعظماءهم أذلة وفيه وجهان: أحدهما: بالسيف، قاله زهير. الثاني: بالاستعباد، قاله ابن عيسى. ويحتمل ثالثاً: أن يكون بأخذ أموالهم وحط أقدارهم. ﴿ وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾ فيه قولان: أحدهما: أن هذا من قول الله، وكذلك يفعل الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها، قاله ابن عباس).[1]

وقوله: ﴿ قَالُوا نَحْنُ أُولُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾.[2] أخذت في المشاورة كما

(١) النكت والعيون، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: 450هـ)، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، ط/ 1، دار الكتب العلمية - بيروت/ لبنان

(٢) النمل: 33 - 34.

تقتضيه الحال في الأمور العظام فإن الملك(١) لا ينبغى أن يكون مستبدا برأيه، ويجب أن يكون له قوم من أهل الرأى والبصيرة. ﴿ قَالُوا نَحْنُ أُولُوا قُوَّةٍ وَأُولُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴾ أجابوا على شرط الأدب، وقالوا: ليس منا إلا بذل الوسع، وليس لنا إلا إظهار النصح، وما علينا إلا متابعة الأمر- وتمشية الأمر وإمضاؤه.. إليك. ﴿ قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾ ويقال: تغيير الملوك (٢) إذا دخلوا قرية- عن صفتها- معلوم، ثم ينظر.. فإن كان الداخل عادلا أزال سنة الجور، وأثبت سنة العدل، وإن كان الداخل جائرا أزال الحسن وأثبت الباطل. هذا معلوم فإن خراب البلاد بولاة السوء، حيث يستولى أسافل الناس وأسقاطهم على الأعزة منهم، وكما قيل:

يا دولة ليس فيها * من المعالي شظيه

زولي فما أنت إلا * على الكرام بليه

(١) نعلم من سيرة القشيري أنه كانت بينه وبين أصحاب السلطة في موطنه خلافات في الرأى، فهو هنا يغمز بما ينبغى أن يكون عليه صاحب السلطان من آداب، سواء في اختيار أعوانه، أو في قبول النصح والشورى.

(٢) كأنما القشيري ينفس عن نفسه مما قاساه في عهد السلطان طغرل ووزيره الكندري وكأنما يمجد ما ناله من الخير في عهد السلطان ألب أرسلان. ووزيره العظيم نظام الملك (راجع - غير مأمور - مدخل كتاب " لطف الإشارات ": المجلد الأول).

وعمارة الدنيا بولاة الرشد، يكسرون رقاب الغاغة، ويخلصون الكرام من أسر السفلة، (ويأخذ القوس باريها) [1]، وتطلع شمس العدل من برج شرفها.. كذلك المعرفة. [2]

ومن أشدِّ ما اقترفتهُ أَيْدِي مُلُوكِ الجَوْرِ عدمُ تطبيقِهِمْ ل ـشرعِ اللهِ؛ بل استبدلوه بتعظيمِ شأنِ القوانينِ الأرضيَّةِ الطينيةِ التي منشؤها عقول البشرية القاصرة؛ وإن نبعَت من حُذَّاقِ العباقرةِ؛ ذلك لأن الله جعلَ شرعَهُ توقيفيا – لا بد من الرجوعِ فيه لِنُصوصِ الوحيين، وما انبثقَ منهما من كلامِ العلماء الراسخين في العلمِ، والعاملين بذلك – وبعبارةٍ أُخرى: أبى اللهُ أن يجعلَ عقول الناسِ مستقلةً بإدراكِ مقاصد الشريعةِ، وأحكامه العلية، وتعاليمها الوسطية السمحة. ومن ضَلَّ من أهلِ الزيغِ، وصارَ من أهلِ الفِرَقِ الخاسرةِ؛ فلأسبابٍ عديدةٍ من أبرزِها: أن كثيرا منها أَعْلَتْ (عقلَهُ) على (شرعِ اللهِ)! وبعبارةٍ أخرى: جعلَ (العقل) إمامًا (لل ـشرعِ!، وهذا سيدُ الزائغين، وراسمُ منهجهم أجمعين، إبليسُ اللعين، قد أعلنها بصورة صريحةٍ، ومدويةً: ﴿قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ ١٢﴾. [3] وكان شيخنا العلامة الموريتاني أ. حسن

(١) هكذا في م وهي في ص (فتأخذ النفوس بأزمتها).

(٢) لطائف الإشارات = تفسير القشيري، ج/ 3، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (المتوفى: 465هـ)، ط/ 3، تحقيق: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب – مصر، ص: 36.

(٣) سورة الأعراف: ١٢.

خطري- حفظه الله - [1] يقول - بنبرته القوية، وصراحته المتناهية، ولغته العالية - التي ما شهدنا لها مثيلا حتى تاريخ كتابة هذه السطور -! في هذا الصدد: (إنَّ العقولَ البشريَّةَ إذا قُدِّمَتْ على شرعِ الله؛ أنتجت رجيعًا أقذى، وأنتن، من رجيعِ الحيواناتِ)! وهي من العباراتِ القوية التي ظلت عالقة في ذهن الباحث؛ على الرُغم من تراكمِ غُبارِ السنينِ، وركوب بعضِها على بعضٍ، وتكاثُر قضاياها، ومدلهماتها، وعلى الرغم من صيرورة الصغير كبيرا، والكبير هرما، وحصول أمورٍ كثيرة وكثيرة؛ (فكان ما كان مِمَّا لستُ أذكره؛ فقُل خيرًا، ولا تَسَلْ عن الخَبَرِ)! [2] والشاهدُ، أن أئمةِ الجورِ، والملوك العُتاة، والسلاطين الطُّغاة استبدلواْ الذي هو أدنى بالتي هي خيرٌ والتي هي تطبيقُ شرعِ الله، وعدم القسطِ أو العدل الذي به قامت السموات والأرضون؛ بل وقال: " يا عبادي: إني حرمتُ الظلمَ على نفسي، وجعلته بينكم محرما؛ فلا تظالموا ... ". [3] والحق أن من اعتبر حالَ (ملوكِ الجور) في القديمِ والحديثِ؛ أدرك صِحَّةَ ما ذكره المباركُ عبدُ الله بنُ المُباركِ – رحمه الله-؛ فقد كانواْ سببا في فسادِ أمورٍ كثيرةٍ في الدين، بل كانوا في كثير من الأحيانِ سببا في صَرفِ عددٍ لا يحصيهم إلا الله عن دينِ اللهِ، ومنع بعضهم عن

(١) في فرع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بموريتانيا

(٢) يروى ذلك عن الإمام أبي حامدٍ الغزاليِّ – رحمه الله، ورحمَ جميعَ علماءِ الإسلام أحياءً، وأمواتًا -.

(٣) رواه أبو هريرة – رضي الله عنه، ورضي عن جميع الصحابة الكرام - إنعام الباري في شرح أبي ذر الغفاري رضي الله عنه.

إقامة شرع الله، والجُمَع والجماعات، ونحوها ... وللقارئِ أن يتأمل في الذي آل إليه العديدُ من بلادِ الربيع العربي؛ لا بل الصيف العربي التي فيه حياتهم فيها معقدةً بعدَ رخاءٍ شاملٍ، شهده القاصي والداني؛ ومن ثَمَّ تحولوا إلى حياةٍ لا يُحسدون عليها، وتفرق كثيرٌ منهم شَذَرَ مذر في البلاد؛ لسان حالهم: يا ليتنا نرد لحالتنا الأولى؛ فنَعُضَّ عليها بالنواجذِ! ولأمرٍ مَّا؛ قَدَّمَ – عليه الصلاة والسلام – الإمامَ العادل في حديثِ السبعة الذين يظلهم الله في ظله؛ إذ في ظلِّ عدله، وصلاحه تكون للنعم طعمها الجميل، ونكهتُها الخاصة، والعكس بالعكس.

ومثالٌ آخرُ، جَرَّبَهُ الخلقُ هذه الأيامُ، أعنِي جائحةُ كورونَا التي عَطَّلت البشرية من دون استثناءٍ، وأظهرت فاقتَهم لربهم، وأن جميع المعبودات لا تغنِي عنهم من اللهِ شيئًا، وأن الرزق بيدِ الرَّزَّاقِ ذي القوةِ المتينِ، والسبب في تفشِّيها – مهما قيل من أسبابٍ – في تقديرنا طغيان البشر أمامِ خالقهم، ومجاهرتهم عليه؛ فنادت جائحة (كوفيد 19) كما نادت رصيفاتُها السابقات، وستنادِي نظيراتها اللاحِقات، وهي كلها جند اللهِ على أرضِهِ: إنِي بمثابةِ النذير لكم من خالقكم؛ أنِ اللهَ، وخَافوهُ؛ وإلا هَجمت عليكم هجمةً واحدةً تقُضُّ من مضاجعكم؛ بل وتحصُد أرواحكم، لا أُبقِي فيكم شَيئًا، ولا أذَرَ! هذا لسان حال الجائحةِ، وذلك أبلَغُ من لسَانِ مَقالِهَا!

ولا يتناول ما تقدم صالحي الملوك؛ فبهم يحفظ الله شرعه، والبلاد والعباد ... قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن

يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ (١).

هذا، وإنّ الخروجَ على الحاكم – حتى لو جار على رعيته – مَنهِي عنه على التفصيل المعروفِ عند أهلِ العلمِ، والواجبُ على الرَّعيَّةِ الصبر؛ وإلا فإنّ الأُمّة ستعيش في أزمات متتالية كتلك التي تكتَوِي بنِيرانِهَا المتأجِّجَةِ الكثيرُ من الدُّوَلِ التي لم ترفع لهذا التشريع رأساً عيشها اليوم، كما عاشها العديدُ من الأجيال الغابرة، نسأل الله العافية، وهو المسؤول أنّ يُولي أمورَنا خيارُنا، وألا يُولي أمورَنا شرارُنا. آمين يارب العالمين.

طاعة النّساء معولٌ خطيرٌ لإفساد المُلْكِ، والدُّوَلِ:

هذا، وإنّ مِنْ أكثر ما يفسد الملك والدول: طاعة النساء؛ فقد نص شيخ الإسلام ابن تيمية بقوله: (وليحذر العاقل من طاعة النساء في ذلك، ففي الصحيحين عن أسامة بن زيد قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال مِنْ النساء وأكثر ما يفسد الملك والدول: طاعة النساء. وفي صحيح البخاري عن أبي بكرة – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: لن يُفلِحَ قومٌ ولوا أمرهم امرأة. وروي: هلكت الرجال؛ حين أطاعت النساء. ولما أنشده الأعشى: "وهُنَّ شر غالب لمن غلب"؛ جعل – صلى الله عليه وسلم – يرددها، ويقول:

(١) البقرة: ٣٠.

وهُنَّ شر غالب لمن غلب. وقال لأمهات المؤمنين: إنّكنّ لأنتنّ صواحب يوسف يريد أنّ النساء من شأنهنّ مراجعة ذي اللب، وامتَنّ – سبحانه – على زكريا بقوله: ﴿وَأَصۡلَحۡنَا لَهُۥ زَوۡجَهُۥٓ﴾[الأنبياء:90] قال بعض العلماء: ينبغي للرجل أنّ يبتهل إلى الله في إصلاح زوجه له. (1) ونقول من باب المقابلة: إذا كنّ كذلك مع أصحاب الشخصياتِ الصلبة كما الحجر؛ فكيفَ بهنّ مع ضِعافِ البشر؟! إنّه تشريعُ من عليم خبير، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه. نسأل الله من فضله، ونعوذُ به من سخطه.

ثم إنّ الباحث يشير إلى المفسدات الأخرى إشارات:

المفسدة الثانية: أحبار السوءِ:

الحَبر – بفتح الحاءِ – هو العَالِم، وجمعه أحبار، وأحبار السوء: علماءُ السوءِ، الذين لا يعملون بعلمهم، نسأل الله السلامة والعافية من علم بلا عملٍ؛ فقد ذم الله تعالى في كتابه أقوامًا يعلمون ولا يعملون بعلومهم، فقال : ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ ثُمَّ لَمۡ يَحۡمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلۡحِمَارِ يَحۡمِلُ أَسۡفَارَۢاۚ بِئۡسَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ لَا

(1) محمد بن علي بن أحمد بن عمر بن يعلى، أبو عبد الله، بدر الدين البعليّ (المتوفى: 778هـ)، المنهج القويم في اختصار «اقتضاء الصراط المستقيم لشيخ الإسلام ابن تيمية»، تحقيق: علي بن محمد العمران، إشراف: بكر بن عبد الله أبو زيد، ط/ 1 (1422 هـ) هـ، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، ص ص: 109 -110.

﴿ يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٥ ﴾ [1]؛ فشبه تالي القرآن من غير أن يفهمه كمثل الحمار يحمل أسفارا، وفيه وجهان:

1 – قال ابن عباس: " كلفوا العمل بها، فأقروا بها، ثم لم يعملوا بما فيها".

2 – والثاني: أنّ هذا من الحمالة والضمان، لا من الحمل على الظهر؛ يقول: حملوا ما في التوراة، ثم لم يرضوا بها ﴿كَمَثَلِ ٱلۡحِمَارِ يَحۡمِلُ أَسۡفَارَۢا ﴾[الجمعة:5]؛ قال الفراء: " الأسفار: الكتب العظام، واحدها سفر، وهو مأخوذ من الإسفار، قال الله العظيم: ﴿ وَٱلصُّبۡحِ إِذَآ أَسۡفَرَ ﴾ [المدثر:34]؛ لأن الكتاب يسفر عما استودعته فيه؛ فكما أنّ الحمار يحملها ولا يدري ما فيها، كذلك التوراة والإنجيل إذا دلتهم على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، ثم لم يقروا به، ولم يعملوا بما فيها من الدلالة على نبوته؛ لم ينفعهم حفظها؛ فدخل في عموم هذا من يحفظ القرآن من أهل ملتنا، ثم لا يفهمه، ولا يعمل بما فيه، وفيه قال الناظم:

زوامل للأسفار لا علم عندهم * بجيدها إلا كعلم الأباعر

لعمرك لا يدري البعير إذا غدا * بأوساقه أو راح ما في الغرائر

فبئس مثل القوم. و– أيضا –؛ فقد قال الله تعالى : ﴿ قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَسۡتُمۡ عَلَىٰ شَيۡءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡۗ ﴾. [المائدة:68].

(١) الجمعة: ٥.

قال سُفيان: " ليس في كتاب الله تعالى آية أشد علي من قوله تعالى ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴾ ، وإقامتها: فهمها والعمل بها ".[1] ويدخل في (أحبار السوء) هؤلاءِ: علماءُ السلاطين الذين يتذللون للحكام، ويتواطأون معهم؛ رغبةً فيما لديهم من حُطامِ الدُّنيا الفانيةِ، وما أكثرَهم في هذهِ الأزمنةِ المتأخرةِ! يُسَهِّلُونَ للحُكَّامِ المُحرَّماتِ، ويجدون لهم المخارجِ في تعاطِي المَنْهيَّاتِ، وتتبُّعِ الرُّخَصِ، (ومَنْ تَتَبَّعَ الرُّخَصَ؛ فقد تزندق، أو كاد)! كما قال الأئمةُ الأعلامُ.

وإنْ تعجَبْ؛ فَعَجَبٌ أنَّ أحبارَ السوءِ المذكورين هم المقربون، وهم المحبوبون لدى الحُكَّامِ، ولَدَيَّ الرَّأْيِ العامِ المحليِّ، والإقليميِّ، والعالمِيِّ – إلا من رحم اللهُ – من دونِ أهلِ الصَّلاحِ من العُلماءِ الذين يصدحون بالحق، وينصحون للراعي والرعية بالحكمةِ والموعظةِ الحسنةِ، ويجادلونهم بالتي هي أحسن؛ لا بالتى هي أخشنُ، ولا يريدون منهم – مع كل ذلك – جزاءً، ولا شُكُوراً. هكذا حالُ الأنبياءِ مع أقوامِهم، وهذا ديدن صَالِحِي الدُّعاةِ مع مَدْعُوِّيهم في جميعِ الأزمنة والأمكنةِ؛ فكيف لا يوضَعون في موضعهم المناسب؟ أم كيف يُجعلون في آخر القائمةِ مع أنهم أتبعُ الخلق للحقِّ، وأنصحُ الخلقِ للخلقِ، وأنبلهم – على الإطلاق – على الحق؟!!! فما ظنُّك بأمةً تستهين بأهلِ

(١) محمد بن الوليد بن محمد بن خلف القرشى الفهرى الأندلسي، أبو بكر الطرطوشى المالكي (ت: 52هـ)، الحوادث والبدع، تحقيق: علي بن حسن الحلبي، ط/ 3، دار ابن الجوزي، 1419 هـ – 1998 م.

الذكرِ – من كل فن –، وتجعلهُم في مَصَافِّ العاديين؛ بل والمجرمين، والإرهابيين، والمتطرفيين، والرجعيين؟!!! أو يناصبونهم العداء؟! ألم تبلغهم سنة الله في أنه قد آذنَ بالحربِ؛ من عادى له وليا ؟!! سبحانَ الله على انقلابِ الموازين، والكيلِ بمكيالَيْنِ، وتحويلِ المفْرُوضِ إلى مَرْفُوضٍ، و(الحِطَّةُ) إلى (حِنطةٍ)، و(انظرنا) إلى (راعِنَا)، و (سمعنا وأطعنا) إلى (سمعنا وعصينا)!

وفذلكةُ القَوْلِ إنه: لن يُفلح قومٌ؛ جعلواْ علماءَهُم في مؤخرة الركبِ؛ قياسًا على قوله – صلى الله عليه وسلم –: " لن يُفلح قومٌ؛ ولوا أمرهم امرأةٌ "[1]؛ بجامع سُوءِ الترتيب، وتردي التخطيطِ الذي منهُ الخلطُ في ترتيبِ سُلَّمِ الأولوياتِ، ومن قَدَّمَ ما لا ينبغي تقديمُه؛ ما جنَى غيرَ ضعفِ النتيجة؛ بل انعدامِ النتيجة الإيجابية التي تُفضي [2] إلى سوء المنقلب، والفوضَى العارمة، واشتداد الغلاء بعد رخاء، وكثرة المحن بعد عافية، عياذا بالله.

المفسدة الثالثة: الرهبان:

أولا: مفهوم الرهبان في اللغة العربية:

لم يترك علماء اللغة الأفذاذ شاردةً ولا وادةً في معاجمهم في البحث عن هذه

(١) صحيح البخاري عن أبي بكرة – رضي الله عنه –.

(٢) أي تؤدي، أو تُورِث.

المفردة، كما صنَعَ العلامةُ ابن مكرم بن منظور الإفريقي؛ لأنه نفيسٌ، وماتعٌ، فقد و رد في " لسان العرب " له الآتِي: (رهب: رَهِبَ، بِالْكَسْرِ، يَرْهَبُ رَهْبةً ورُهْباً، بِالضَّمِّ، ورَهَباً، بِالتَّحْرِيكِ، أَي خافَ. ورَهِبَ الشيءَ رَهْباً ورَهَباً ورَهْبةً: خافَه. وَالِاسْمُ: الرُّهْبُ، والرُّهْبى، والرَّهَبوتُ، والرَّهَبُوتى؛ ورَجلٌ رَهَبُوتٌ. يُقَالُ: رَهَبُوتٌ خَيرٌ مِنْ رَحَمُوتٍ، أَي لأَن تُرْهَبَ خَيرٌ مِنْ أَنْ تُرْحَمَ. وتَرَهَّبَ غيرَه إِذا تَوَعَّدَه؛ وأَنشد الأَزهري لِلْعَجَّاجِ يَصِفُ عَيراً وأُتُنَه:

تُعْطِيهِ رَهْباها، إِذا تَرَهَّبَا، * عَلَى اضْطِهَارِ الكَشْحِ بَوْلًا زَغْرَبا

عُصارةَ الجَزْءِ الَّذِي تَحَلَّبا

رَهْباها: الَّذِي تَرْهَبُه، كَمَا يُقَالُ هالكٌ وهَلْكَى. إِذا تَرَهَّبا إِذا تَوعَّدا. وَقَالَ اللَّيْثُ: الرَّهْبُ، جَزْمٌ، لُغَةٌ فِي الرَّهَب، قَالَ: والرَّهْباءُ اسْمٌ مِنَ الرَّهَبِ، تَقُولُ: الرَّهْباءُ مِنَ الله، والرَّغْباءُ إِليه. وَفِي حَدِيثِ الدُّعاءِ: " رَغْبةً ورَهْبةً إِليك ". الرَّهْبةُ: الخَوْفُ والفَزَعُ، جَمَعَ بَيْنَ الرَّغْبةِ والرَّهْبةِ، ثُمَّ أَعمل الرَّغْبةَ وَحْدَهَا، كَمَا تَقدَّم فِي الرَّغْبةِ. وَفِي حَدِيثِ رَضاعِ الْكَبِيرِ: فبَقِيتُ سنَةً لَا أُحَدِّثُ بِهَا رَهْبَتَه؛ قَالَ ابْنُ الأَثير: هَكَذَا جاءَ فِي روايةٍ، أَي مِنْ أَجل رَهبَتِه، وَهُوَ مَنْصُوبٌ عَلَى الْمَفْعُولِ لَهُ. وأَرْهَبَه ورَهَّبَه واسترْهَبَه: أَخافَه وفَزَّعه. [1]واسْتَرْهَبَه: اسْتَدْعَى رَهْبَتَه حَتَّى رَهِبَه الناسُ؛ وَبِذَلِكَ فُسِّرَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ:

(١) محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: 711هـ)، لسان العرب، ج/ 1، ط/ 3، دار صادر – بيروت، 1414 هـ، ص ص: 437 – فما بعدها.

وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجاؤُ بِسِحْرٍ عَظِيمٍ؛ أَي أَرْهَبُوهم. وَفِي حَدِيثِ بَهْز بْنِ حَكِيم: " إِني لأَسمع الرَّاهِبةَ ". قَالَ ابْنُ الأَثير: هِيَ الْحَالَةُ الَّتِي تُرْهِبُ أَي تُفْزِعُ وتُخَوِّفُ؛ وَفِي رِوَايَةٍ: " أَسْمَعُك راهِباً " أَي: خَائِفًا. وتَرَهَّب الرَّجُلُ إِذا صَارَ راهِباً يَخْشَى اللهَّ. والرَّاهِبُ: الْمُتَعَبِّدُ فِي الصَّوْمعةِ، وأَحدُ رُهْبانِ النَّصَارَى، وَمَصْدَرُهُ الرَّهْبةُ والرَّهْبانِيّةُ، وَالْجَمْعُ الرُّهْبانُ، والرَّهابِنَةُ خطأٌ، وَقَدْ يَكُونُ الرُّهْبانُ وَاحِدًا وَجَمْعًا، فَمَنْ جَعَلَهُ وَاحِدًا جَعَلَهُ عَلَى بِناءِ فُعْلانٍ؛ أَنشد ابْنُ الأَعرابي:

لَوْ كَلَّمَتْ رُهْبانَ دَيْرٍ فِي القُلَلْ * لانْحَدَرَ الرُّهْبانُ يَسْعَى، فنَزَلْ

قَالَ: ووجهُ الْكَلَامِ أَن يَكُونَ جَمْعًا بِالنُّونِ؛ قَالَ: وإِن جَمَعْتَ الرُّهبانَ الْوَاحِدَ رَهابِينَ ورَهابِنةً، جَازَ؛ وإِن قُلْتَ: رَهْبانِيُّون كَانَ صَوَابًا. وَقَالَ جَرِيرٌ فِيمَنْ جَعَلَ رُهْبَانَ جَمْعًا:

رُهْبانُ مَدْيَنَ، لَوْ رَأَوْكَ، تَنَزَّلُوا * والعُصْمُ، مِنْ شَعَفِ العقُولِ، الفادِرُ

وَعِلٌ عاقِلٌ صَعِدَ الْجَبَلَ؛ والفادِرُ: الْمُسِنُّ مِنَ الوُعُول. والرَّهْبانيةُ: مَصْدَرُ الرَّاهِبِ، وَالِاسْمُ الرَّهْبانِيَّةُ. وَفِي التَّنْزِيلِ الْعَزِيزِ: ﴿وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ﴾[الحديد27]. قَالَ الْفَارِسِيُّ: رَهْبانِيَّةً، مَنْصُوبٌ بِفِعْلٍ مُضْمَرٍ، كأَنه قَالَ: وابْتَدَعُوا رَهْبانيَّةً ابْتَدَعوها، وَلَا يَكُونُ عَطْفًا عَلَى مَا قَبْلَهُ مِنَ الْمَنْصُوبِ فِي الْآيَةِ، لأَن مَا وُضِعَ فِي الْقَلْبِ لَا يُبْتَدَعُ. وَقَدْ تَرَهَّبَ. والتَّرَهُّبُ:

التَّعَبُّدُ، وَقِيلَ: التَّعَبُّدُ فِي صَوْمَعَتِه. (١) قَالَ: وأَصلُ الرَّهْبانِيَّة مِنَ الرَّهْبةِ، ثُمَّ صَارَتِ اسْمًا لِما فَضَل عَنِ المقدارِ وأَفْرَطَ فِيهِ. ... إلى أن قال: بعد كلامٍ: ... جاءَ فِي التَّفْسِيرِ أَنّهم كَانُوا يَرَوْن مِنْ مُلُوكِهِمْ مَا لَا يَصْبِرُون عَلَيْهِ؛ فَاتَّخَذُوا أَسراباً، وصَوامِعَ وَابْتَدَعُوا ذَلِكَ، فَلَمَّا أَلزموا أَنفسهم ذَلِكَ التَّطَوُّعَ، ودَخَلُوا فِيهِ، لَزِمَهم تمامُه؛ كَمَا أَنّ الإِنسانَ إِذا جَعَلَ عَلَى نفسِه صَوْماً، لَمْ يُفْتَرَضْ عَلَيْهِ؛ لَزِمَهُ أَن يُتِمه. والرَّهْبَنَةُ: فَعْلَنَةٌ مِنْهُ، أَو فَعْلَلَةٌ، عَلَى تَقْدِيرِ أَصْلِيَّةِ النُّونِ وَزِيَادَتِهَا؛ قَالَ ابْنُ الأَثير: والرَّهْبانِيَّةُ مَنْسوبة إِلى الرَّهْبَنةِ، بِزِيَادَةِ الأَلف. وَفِي الْحَدِيثِ: " لَا رَهْبانِيَّةَ فِي الإِسلام "، هِيَ كالاخْتِصاءِ، واعْتِناقِ السَّلاسِلِ، وَمَا أَشبه ذَلِكَ، مِمَّا كَانَتِ الرَّهابِنَةُ تَتكَلَّفُه، وَقَدْ وَضَعَهَا اللهُ، عَزَّ وَجَلَّ، عَنِ أُمة مُحَمَّدٍ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ... والرَّهْبَى: الناقةُ المَهْزُولةُ جِدّاً؛ قَالَ:

ومِثْلِكِ رَهْبَى، قَدْ تَرَكْتُ رَذِيَّةً * تُقَلِّبُ عَيْنَيْها، إِذا مَرَّ طائِرُ

وَقِيلَ: رَهْبَى – هَاهُنَا – اسْمُ نَاقَةٍ، وإِنما سَمَّاهَا بِذَلِكَ. والرَّهْبُ: كالرَّهْبَى. قَالَ الشَّاعِرُ:

وأَلْواحُ رَهْبٍ، كأَنَّ النُّسوعَ * أَثْبَتْنَ، فِي الدَّفِّ مِنْهَا، سِطارا

وَقِيلَ: الرَّهْبُ الْجَمَلُ الَّذِي استُعْمِلَ فِي السَّفر وكَلَّ، والأُنثى رَهْبةٌ. وأَرْهَبَ الرَّجُلُ

(١) محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى، مرجع سابق، ص ص: 437 – فما بعدها، بتصرف.

إذا رَكِبَ رَهْباً، وَهُوَ الجَمَلُ الْعَالِي . وناقةٌ رَهْبٌ: ضامِرٌ؛ وَقِيلَ: الرَّهْبُ الجَمَلُ العَرِيضُ العِظامِ المَشْبُوحُ الخَلْقِ؛ قَالَ: رَهْبٌ، كبُنْيانِ الشَّآمي، أَخْلَقُ. (١)

هذا كله من جهة اللغة، وأما في الاصطلاحِ:

ثانيا: مفهوم الرهبان اصطلاحًا:

فقد تحدث د. سفر الحوالي ضمن كتابه (العِلمانيَّة - نشأتهَا وتطوّرهَا وآثارُهَا في الحيَاة الإسلاميَّة المُعَاصِرَة)(٢)عن الرهبانية ما خُلاصَته: -فأجاد، وأفاد -: للوجود الإنساني في هذه الأرض غاية سامية أرادهَا الخالق سبحانه منذ أن اختار الإنسان للقيام بالمهمة العظمى "الخلافة في الأرض"، وأناط بِه مسئولية عمرانها بالصلاح والخير، ولكيلا ينسى الإنسان الغاية من وجوده، ولتقوم عليه الحجة أمام خالقه، جعل الله تعالى تلك الغاية جزءاً من تكوينه، مودعاً إياها في أعماق نفسه، ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ﴾ ، (٣)!؛ لكن الناس -بإغواء الشيطان لهم- يضلون الطريق، فيغفلون عن غاية وجودهم، منغمسين في حدود

(١) محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى، مرجع سابق، ص ص: 437 – فما بعدها، بتصرف.

(٢) سفر بن عبد الرحمن الحوالي، العِلمانيَّة - نشأتهَا وتطوّرهَا وآثارُهَا في الحيَاة الإسلاميَّة المُعَاصِرَة، ط/ 1، دار الهجرة، ص ص: 85- فما بعدها.

(٣)الروم:30.

المطالب الحيوانية العاجلة، أو يتصورون هذه الغاية على غير حقيقتها؛ فتضل أعمالهم وهم يحسبون أنّهم يحسنون صنعاً. ومن تصور هذه الغاية على غير حقيقتها، الاعتقاد بتفاهة الحياة الدنيا إلى درجة إسقاط القيمة التي جعلها الله لها، والغلو في تهذيب النفس البشرية إلى حد التضييق والتعذيب، مع صرف النظر عن عمارة الكون التي هي جزء من الغاية العظمى. وما الرهبانية التي عرفها الناسُ منذ القدم؛ إلا تطبيق عملي للتصور السلبي الخاطئ الذي نشأ عن الجهل بطبيعة الإنسان ومهمته في الوجود. ومع أن الرهبانية بدعة بشرية مشتركة بين أديان عديدة؛ نلاحظ أنّ للرهبانية النصرانية ظروفاً وأسباباً بارزة تضافرت على إيجادها وتنميتها، حتى أصبحت أبرز مظاهر الدين الكنسي على مر العصور. ثم ذكرَ التي يمكن إيجازُها في النقاطِ التاليةِ:

أسباب الرهبانية:

1 – عقيدة الخطيئة الأصلية الموروثة.(١)

2 – **التجرد الكامل عن الدنيا:**

3 – **العبادة المتواصلة:**

4 – **التعذيب الجنوني:** لم يقتصر الأمر على ما ذكره بل كما هي طبيعة البدع تجاوز ذلك إلى تصرفات جنونية تشمئز لها الفطر السليمة، ابتدعها بعض الرهبان ليعبروا عن

(١) سفر بن عبد الرحمن الحوالي، ص ص: 85– فما بعدها.

قوة إيمانهم وعمق إخلاصهم لمبدئهم، (وروى المؤرخون من ذلك عجائب فحدثوا عن الراهب ماكاريوس أنّه نام ستة أشهر في مستنقع ليقرض جسمه العاري ذباب سام، وكان يحمل دائماً نحو قنطار من حديد، وكان صاحبه الراهب يوسيبيس يحمل نحو قنطارين من حديد ... ، وقد أقام ثلاثة أعوام في بئر نزح [1]... وقد عبد الراهب يوحنا ثلاث سنين قائماً على رجل واحدة، ولم ينم ولم يقعد طوال هذه المدة، فإذا تعب جداً أسند ظهره إلى صخرة. وكان بعض الرهبان لا يكتسون دائما، وإنما يتسترون بشعرهم الطويل ويمشون على أيديهم وأرجلهم كالأنعام، وكان أكثرهم يسكنون في مغارات السباع والآبار النازحة والمقابر، ويأكل كثير منهم الكلأ والحشيش، وكانوا يعدون طهارة الجسم منافية لنقاء الروح، ويتأثمون عن غسل الأعضاء، وأزهد الناس عندهم وأنقاهم أبعدهم عن الطهارة، وأوغلهم في النجاسات والدنس، يقول الراهب اتهينس: إنّ الراهب أنتوني لم يقترف إثم غسل الرجلين طوال عمره، وكان الراهب أبراهام لم يمس وجهه ولا رجله الماء خمسين عاماً، وقد قال الراهب الإسكندري بعد زمان متلهفاً: واأسفاه، لقد كنا في زمن نعد غسل الوجه حراماً، فإذا بنا الآن ندخل الحمامات". .[2]

وهناك "راهب منعزل اخترع درجة جديدة من الورع يربط نفسه بسلسلة إلى

(١) سفر بن عبد الرحمن الحوالي، ص ص: 93 – فما بعدها.

(٢) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين: (168).

صخرة في غار ضيق ". [1] وأما القديس كولمبان فـ (كانت السناجب تجثم على كتفيه، فتدخل في قلنسوته وتخرج منها") [2] وهو ساكن. [3]

نتائج الرهبانية:

من سنن الله في الكون أنّ كل مبدأ أو نظام لا يساير الفطرة البشرية فإن مآله إلى الخسران والفناء، ومصير أتباعه شقاء مطبق، وضياع مرير، لا يستطيع أحد أن يأتي بدين يوائم الفطرة إلا خالقها جل شأنه، ولذلك كان المبتدعون وواضعو المذاهب البشرية أكثر شيء إساءة إلى الجنس البشري.

وما من شك في أن الرهبانية ليست من فطرة الإنسان ولا من غايات وجوده، بل هي على النقيض من ذلك، ولهذا لم يأمر بها الله ولم يشرعها ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾ [4] فهي بدعة حتى بالنسبة للذين تطوعوا بإلزام أنفسهم بها مدفوعين بالحرص على رضاء الله، فما بالك بها بعد أن انخرط في سلكها الفساق وطلاب الدنيا؟ إنّ المرء لا تقع عينه على مؤلف من مؤلفات تاريخ الغرب في عصوره الوسطى، إلا ويرى فيه ما يشين ويلطخ الحياة الرهبانية من

(١) معالم تاريخ الإنسانية: (732).

(٢) قصة الحضارة: (14/ 356).

(٣) سفر بن عبد الرحمن الحوالي، ص ص: 94- فما بعدها.

(٤) الحديد: 27.

الفضائح الشنيعة والدعارة التى لا تضارعها دعارة مواخير الفساد. [1] يقول رئيس دير كلوني: " إن بعض رجال الدين في الأديرة وفي خارجها يستهترون بابن العذراء استهتاراً يستبيحون معه ارتكاب الفحشاء في ساحاته نفسها، بل في تلك البيوت التى أنشأها المؤمنون الخاشعون لكي تكون ملاذاً للعفة والطهارة في حرمها المسور، لقد فاضت هذه البيوت بالدعارة حتى أصبحت مريم العذراء لا تجد مكاناً تضع فيه الطفل عيسى". [2]... وأصبحت الأديرة أماكن للفجور والفسق تضرب بها الأمثلة في ذلك، وقد وصل الحال بنصارى الشرق - وربما كانوا أكثر حياء، وأشد تمسُّكاً - إلى حد أنّ المستهترين من الخلفاء والشعراء المجان كانوا يرتادون الأديرة كما يرتاد رواد الدعارة اليوم بيوت العهر، وألفوا في ذلك كتباً منها كتاب " الديارات" المعروف لدى دارسي الأدب العربي. [3] هذا بالنسبة للمترهبنين، أما الفرد المسيحى فقد ضعفت ثقته بالدين، وتزعزعت في نفسه القيم والأخلاق الدينية، كيف لا وهو يرى خصيان الملكوت ومثَّال الطهر يغرقون في الفجور وينالون من المتع الجسدية ما لا يمكنه بلوغه؟! أما الغيورون منهم فقد اتخذوا ذلك ذريعة للانشقاق عن الكنيسة، وتكوين فرق دينية جديدة لها أديرة خاصة تبدأ أول الأمر نظيفة؛ لكنها لا تلبث أن تعودَ؛ فتسقط فيما سقط

(١) سفر بن عبد الرحمن الحوالي، ص ص: 95 - فما بعدها.

(٢) قصة الحضارة: (145: 372).

(٣) كتبه أبو الحسن السابشتي، وطبع مؤخراً بتحقيق "كوركيس عواد"

فيه أسلافها، كل ذلك كان في الفترة التي لا تزال قبضة الكنيسة فيها قوية، ونفوذها صلباً، لكن المرحلة التى شهدت ضعف سلطانها فيما بعد شهدت رد فعلٍ طاغياً ضد أغلال الكنيسة وقيودها مما جعل بذور الفلسفات الإباحية، والحركات غير الأخلاقية تنمو نمواً مطرداً، وصُحِّح الرأي القائل بأنّ " المسيحية نفاق منظم كما اتهمتها أجيال عديدة من النقاد العقليين المرة تلو الأخرى " وأنّها "لم تكن عند أكثر الناس غير ستار رقيق يخفي تحته نظرة وثنية خالصة إلى الحياة "). [1] هذا، وقد ظلت رواسب الرهبانية متغلغلة في أعماق النفسية الأوروبية؛ حتى بعد أن فقد الدين مكانته في النفوس – لاسيما ما يتعلق بالمرأة، والجنس – وكان لذلك أثره في النظريات الهدامة الحديثة خاصة " الفرويدية " كما في مبحث علمانية الاجتماع والأخلاق. [2] وما تقدم كله يدل على أن الرهبانية ليست من الإسلام، وأنّها مصادمة للفطرة، والعقل، والشرع؛ فلزم اجتنابُها، والخيرُ كله في الاتباع، والشر كله في الابتداع. وحَرِيٌّ على الإنسانية أن لا تواصل فيما لا نفع فيه، وخصوصا أنّ الكنيسة قد بذلت وُسعَها في إرساءِ دعائم التبتل؛ ولكنها فشلت فشلا ذريعًا، وبارت بضاعتُها، وأيقن العقلاء أنّ بضاعتهم كاسدة لا يحتاجونُ إليها هم – وهم صانعوها –؛ فغيرهم أولى بتجنبها؛ لو كان يعقلون؛ ومن أصر منهم على أن

(١) تاريخ العالم: (4/ 330).

(٢) سفر بن عبد الرحمن الحوالي، ص ص: 85- فما بعدها، بتصرف.

يجرب طريقتَهم الكاسدة، والضالة المذكورة؛ فإنه لا محالةَ لخاسرٌ! وكيف لا؛ وقد جانب هَدْيَ القرآنِ التي هي أقوم ؟

ثم كيف لا، وقد قال شاعرُنا: وهل أفسد الدينُ إلا الملوكُ وأحبارُ سُوءٍ، ورُهبانُها؟!

ومن مفسدات الدين الأخرى:

المفسدة الرابعةُ: إبليس: إمامُ الكفرِ الذي عن إغواءِ الخلقِ قد نَوَى؛ فَتحدَّى بذلك الحقَّ – جلَّ وعلاَ –، ومعصيةً غليظَةً فوقَ الوَصفِ إبليسُ ربَّهُ قد عَصَى. فهو أس كل ضلال، وقد اتخَذَنَا عدوا؛ ولذا أمرَ الله باتخاذِه عدوًّا؛ إذ أنه سيتبرأ من كل من اتبعه وذلك يومئذ، كما بينه الحق تعالى في خطبته الشهيرة!

المفسدة الخامسةُ: الدنيا.

المفسدة السادسة: النساء.

المفسدة السابعة: اقتراف الكبائر، والمعاصي: وأعظمها الشرك، والكفر، والنفاق ... وهي في ذلك على دَركاتٍ؛ مثلما أنّ للخيرِ درجات.

المفسدة الثامنة: اتباع النفس الأمارة بالسوء.

المفسدة التاسعة: الانسياق للهوَى، واتخاذه إلها: يعبده من دون الله.

المفسدة الموفية للعشرة: الاهتمام البالغ باللغات العالمية، والعاميات، واللهجات مع إهمالِ لسانِ القرآنِ العربية الفصحَى، كل ذلك من مفسدات الدين، كيف لا، وهو

صرف صريح للخلق من الأهم إلى الأقل أهمية، وأسوأ من ذلك أنّ فيه قطع اً لصلة القوم بالقرآن العظيم الذي نزل بلسان عربي مبين، ليُحَذّر المسلمين من الانجراف إلى ذلك الجرف الهار الخطيرِ.

- **وغير ذلك كثيرٌ مما ذكره القرآن الكريم في غير ما موضع، وصِنْوُه السنة الصحيحة.**

وهناك نماذج كثيرة من المفسدين الذين يفسدون في الأرضِ، ولا يصلحون، ذكر القرآن كثيرًا منهم: وَسيِّدُهم إبليس اللعين، وفرعون، وهامان، وقارون، ومشركو قريش، ومن سلك سبيلَهم من أئمة الغِوايةِ من قدامَى، ومُعاصرين رجالاً، ونساءً، صغارًا، وكبارًا، لا نتشَاغَلُ في ذكر ذلك؛ نظرًا لضيقِ المقامِ

ومن المهم الإشارة – هنا – إلى أنّ " العِبرَةَ بِعُمُومِ اللفظِ لا بخصوصِ السَّبَبِ "[1] على الأرجحِ من أقوالِ علماء الأصولِ، والشريعةِ؛ فكل من قامَ بمفسدةٍ من مفسداتِ الدينِ المذكورة، وغيرها؛ فيلتحق بأسلافِهِ الطَّالِحِينَ، عليهم من اللهِ ما يستحقونَ، وعافانا الله من عقابه ومن النيران، وحقق لنا الزيادة بعد الرضوان.

(١) وتلك قاعدةٌ شهيرةٌ، أصبح الجيل بعدَ الجيلِ يرويها، ويعرفها قاصي الخلق والداني.

المبحث الثاني

هدايات القرآن الكريم

يأتي هذا المحورُ على شِقَّينِ اثنَيْنِ، وهو من أجلِّ المباحثِ؛ كيف لا، وهو توطيدٌ للحديثِ عن صميمِ موضوعِ البحثِ، ولُبِّهِ، وكل البحثِ كذلك؛ نظرًا لاتصالِهِ بمصدرِ الوحيِ الأول، وصِنوْهِ السنة الشريفةِ الصحيحةِ -كما سيبينه البحث قريبًا من هذا المبحثِ-:

أ/ هدايةُ القرآنِ للتِّي هِيَ أَقْوَمُ

وهذه الآيةُ من أجملِ الآياتِ القرآنيةِ، فقد ذكرَ العلامةُ الشنقيطي – رحمه الله تعالَى – في " أضوائِهِ " كلامَهُ الجامعِ الذي " أصبح الجيلُ بعد الجيلِ يرويها "، فمن ذلك قولُهُ في معرض تفسيره لقوله – تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ ﴾: ذَكَرَ – جَلَّ وَعَلَا – فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ أَنَّ هَذَا الْقُرْآنَ الْعَظِيمَ الَّذِي هُوَ أَعْظَمُ الْكُتُبِ السَّمَاوِيَّةِ، وَأَجْمَعُهَا لِجَمِيعِ الْعُلُومِ، وَآخِرُهَا عَهْدًا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ جَلَّ وَعَلَا، يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ: أَيِ الطَّرِيقَةُ الَّتِي هِيَ أَسَدُّ، وَأَعْدَلُ، وَأَصْوَبُ. فَـ "الَّتِي": نَعْتٌ لِمَوْصُوفٍ مَحْذُوفٍ. عَلَى حَدِّ قَوْلِ ابْنِ مَالِكٍ فِي الْخُلَاصَةِ: وَمَا مِنَ الْمَنْعُوتِ وَالنَّعْتِ عُقِلْ * يَجُوزُ حَذْفُهُ وَفِي النَّعْتِ يَقِلْ

وَقَالَ الزَّجَّاجُ وَالْكَلْبِيُّ وَالْفَرَّاءُ: لِلْحَالِ الَّتِي هِيَ أَقْوَمُ الْحَالَاتِ، وَهِيَ تَوْحِيدُ اللهَّ وَالْإِيمَانُ بِرُسُلِهِ. وَهَذِهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ أَجْمَلَ اللهُّ جَلَّ وَعَلَا فِيهَا جَمِيعَ مَا فِي الْقُرْآنِ مِنَ

الْهُدَى إِلَى خَيْرِ الطَّرْقِ وَأَعْدَلِهَا وَأَصْوَبِهَا، فَلَوْ تَتَبَّعْنَا تَفْصِيلَهَا عَلَى وَجْهِ الْكَمَالِ؛ لَأَتَيْنَا عَلَى جَمِيعِ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ؛ لِشُمُولِهَا لِجَمِيعِ مَا فِيهِ مِنَ الْهُدَى إِلَى خَيْرِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ؛ وَلَكِنَّنَا - إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى- سَنَذْكُرُ جُمَلًا وَافِرَةً، فِي جِهَاتٍ مُخْتَلِفَةٍ كَثِيرَةٍ مِنْ هُدَى الْقُرْآنِ لِلطَّرِيقِ الَّتِي هِيَ أَقْوَمُ؛ بَيَانًا لِبَعْضِ مَا أَشَارَتْ إِلَيْهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ، تَنْبِيهًا بِبَعْضِهِ عَلَى كُلِّهِ مِنَ الْمَسَائِلِ الْعِظَامِ، وَالْمَسَائِلِ الَّتِي أَنْكَرَهَا الْمُلْحِدُونَ مِنَ الْكُفَّارِ، وَطَعَنُوا بِسَبَبِهَا فِي دِينِ الْإِسْلَامِ، لِقُصُورِ إِدْرَاكِهِمْ عَنْ مَعْرِفَةِ حِكَمِهَا الْبَالِغَةِ.

فَمِنْ ذَلِكَ تَوْحِيدُ اللهِ جَلَّ وَعَلَا، فَقَدْ هَدَى الْقُرْآنُ فِيهِ لِلطَّرِيقِ الَّتِي هِيَ أَقْوَمُ الطُّرُقِ وَأَعْدَلُهَا، وَهِيَ تَوْحِيدُهُ جَلَّ وَعَلَا فِي رُبُوبِيَّتِهِ، وَفِي عِبَادَتِهِ، وَفِي أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ. وَقَدْ دَلَّ اسْتِقْرَاءُ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ عَلَى أَنَّ تَوْحِيدَ اللهِ يَنْقَسِمُ إِلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ) [1]. ثم ذكرَ أمثلةً عديدة منْ هَدْيِ الْقُرْآنِ لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ، من ذلك: جَعْلُهُ الطَّلَاقَ بِيَدِ الرَّجُلِ، وإِبَاحَتُهُ تَعَدُّدَ الزَّوْجَاتِ إِلَى أَرْبَعٍ، وَأَنَّ الرَّجُلَ إِذَا خَافَ عَدَمَ الْعَدْلِ بَيْنَهُنَّ، لَزِمَهُ الِاقْتِصَارُ عَلَى وَاحِدَةٍ، أَوْ مِلْكِ يَمِينِهِ، ذاكراً بأنَّ الْقُرْآنَ أَبَاحَ تَعَدُّدَ الزَّوْجَاتِ لِمَصْلَحَةِ الْمَرْأَةِ فِي عَدَمِ حِرْمَانِهَا مِنَ الزَّوَاجِ، وَلِمَصْلَحَةِ الرَّجُلِ بِعَدَمِ تَعَطُّلِ مَنَافِعِهِ فِي حَالِ قِيَامِ الْعُذْرِ بِالْمَرْأَةِ الْوَاحِدَةِ، وَلِمَصْلَحَةِ الْأُمَّةِ لِيَكْثُرَ عَدَدُهَا؛ فَيُمْكِنُهَا مُقَاوَمَةُ عَدُوِّهَا لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللهِ هِيَ الْعُلْيَا، فَهُوَ تَشْرِيعُ حَكِيمٍ خَبِيرٍ لَا يَطْعَنُ فِيهِ إِلَّا مَنْ أَعْمَى اللهُ بَصِيرَتَهُ بِظُلُمَاتِ الْكُفْرِ.

(١) الشنقيطي، محمد الأمين، أضواءُ البيان في إيضاحِ القرآنِ بالقرآنِ، ج/ ...، ط/ .....، دار .....، .....

وَتَحْدِيدُ الزَّوْجَاتِ بِأَرْبَعٍ: تَحْدِيدٌ مِنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ، وَهُوَ أَمْرٌ وَسَطٌ بَيْنَ الْقِلَّةِ الْمُفْضِيَةِ إِلَى تَعَطُّلِ بَعْضِ مَنَافِعِ الرَّجُلِ، وَبَيْنَ الْكَثْرَةِ الَّتِي هِيَ مَظِنَّةُ عَدَمِ الْقُدْرَةِ عَلَى الْقِيَامِ بِلَوَازِمَ الزَّوْجِيَّةِ لِلْجَمِيعِ. وَمِنْ هَدْيِ الْقُرْآنِ لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ: تَفْضِيلُهُ الذَّكَرَ عَلَى الْأُنْثَى فِي الْمِيرَاثِ. وَذَلِكَ لِأَنَّ الذُّكُورَةَ فِي كَمَالٍ خِلْقِيٍّ، وَقُوَّةٍ طَبِيعِيَّةٍ، وَشَرَفٍ وَجَمَالٍ، وَالْأُنُوثَةُ نَقْصٌ خِلْقِيٌّ، وَضَعْفٌ طَبِيعِيٌّ، كَمَا هُوَ مَحْسُوسٌ مُشَاهَدٌ لِجَمِيعِ الْعُقَلَاءِ، لَا يَكَادُ يُنْكِرُهُ إِلَّا مُكَابِرٌ فِي الْمَحْسُوسِ. وَلِأَجْلِ هَذِهِ الْحِكَمِ الَّتِي بَيَّنَّا بِهَا فَضْلَ نَوْعِ الذَّكَرِ عَلَى نَوْعِ الْأُنْثَى فِي أَصْلِ الْخِلْقَةِ وَالطَّبِيعَةِ، جَعَلَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ الرَّجُلَ هُوَ الْمَسْئُولَ عَنِ الْمَرْأَةِ فِي جَمِيعِ أَحْوَالِهَا. وَخَصَّهُ بِالرِّسَالَةِ وَالنُّبُوَّةِ وَالْخِلَافَةِ دُونَهَا، وَمَلَّكَهُ الطَّلَاقَ دُونَهَا، وَجَعَلَهُ الْوَلِيَّ فِي النِّكَاحِ دُونَهَا، وَجَعَلَ انْتِسَابَ الْأَوْلَادِ إِلَيْهِ لَا إِلَيْهَا، وَجَعَلَ شَهَادَتَهُ فِي الْأَمْوَالِ بِشَهَادَةِ امْرَأَتَيْنِ وَجَعَلَ شَهَادَتَهُ تُقْبَلُ فِي الْحُدُودِ وَالْقَصَاصِ دُونَهَا، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْفَوَارِقِ الْحِسِّيَّةِ وَالْمَعْنَوِيَّةِ وَالشَّرْعِيَّةِ بَيْنَهُمَا.

أَلَا تَرَى أَنَّ الضَّعْفَ الْخِلْقِيَّ وَالْعَجْزَ عَنِ الْإِبَانَةِ فِي الْخِصَامِ عَيْبٌ نَاقِصٌ فِي الرِّجَالِ، مَعَ أَنَّهُ يُعَدُّ مِنْ جُمْلَةِ مَحَاسِنِ النِّسَاءِ الَّتِي تَجْذِبُ إِلَيْهَا الْقُلُوبَ، قَالَ جَرِيرٌ:

إِنَّ الْعُيُونَ الَّتِي فِي طَرْفِهَا حَوَرٌ * قَتَلْنَنَا ثُمَّ لَمْ يُحْيِينَ قَتْلَانَا

يَصْرَعْنَ ذَا اللُّبِّ حَتَّى لَا حَرَاكَ * بِهِ وَهُنَّ أَضْعَفُ خَلْقِ اللهِ أَرْكَانا

وَمِنْ هَدْيِ الْقُرْآنِ لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ: مِلْكُ الرَّقِيقِ الْمُعَبَّرَ عَنْهُ فِي الْقُرْآنِ بِمِلْكِ الْيَمِينِ. وَهَذَا الْحُكْمُ مِنْ أَعْدَلِ الْأَحْكَامِ وَأَوْضَحِهَا وَأَظْهَرِهَا حِكْمَةً. وَتَشَوَّفَ الشَّارِعُ تَشَوُّفًا

شَدِيدًا لِلْحُرِّيَّةِ وَالْإِخْرَاجِ مِنَ الرِّقِّ، فَأَكْثَرَ أَسْبَابَ ذَلِكَ، كَمَا أَوْجَبَهُ فِي الْكَفَّارَاتِ مِنْ قَتْلٍ خَطَأً، وَظِهَارٍ، وَيَمِينٍ، وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَأَوْجَبَ سَرَايَةَ الْعِتْقِ، وَأَمَرَ بِالْكِتَابَةِ، وَرَغَّبَ فِي الْإِعْتَاقِ تَرْغِيبًا شَدِيدًا، وَلَا يخفى أَنَّ مِنْ ذَلِكَ الْعَدْلِ: الْمِلْكَ بِالرِّقِّ وَغَيْرَهُ مِنْ أَحْكَامِ الْقُرْآنِ: وَكَمْ مِنْ عَائِبٍ قَوْلًا صَحِيحًا *وَآفَتُهُ مِنَ الْفَهْمِ السَّقِيمِ

وَمِنْ هَدْيِ الْقُرْآنِ لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ: الْقِصَاصُ: وَلَا شَكَّ أَنَّ هَذَا مِنْ أَعْدَلِ الطُّرُقِ وَأَقْوَمِهَا، وَلِذَلِكَ يُشَاهِدُ فِي أَقْطَارِ الدُّنْيَا قَدِيمًا وَحَدِيثًا قِلَّةُ وُقُوعِ الْقَتْلِ فِي الْبِلَادِ الَّتِي تَحْكُمُ بِكِتَابِ اللهِ؛ لِأَنَّ الْقِصَاصَ رَادِعٌ عَنْ جَرِيمَةِ الْقَتْلِ. وَمَا يَزْعُمُهُ أَعْدَاءُ الْإِسْلَامِ مِنْ أَنَّ الْقِصَاصَ غَيْرُ مُطَابِقٍ لِلْحِكْمَةِ؛ لِأَنَّ فِيهِ إِقْلَالَ عَدَدِ الْمُجْتَمَعِ بِقَتْلِ إِنْسَانٍ ثَانٍ بَعْدِ أَنْ مَاتَ الْأَوَّلُ، وَأَنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ يُعَاقَبَ بِغَيْرِ الْقَتْلِ فَيُحْبَسُ، وَقَدْ يُولَدُ لَهُ فِي الْحَبْسِ فَيَزِيدُ الْمُجْتَمَعُ. كُلُّهُ كَلَامٌ سَاقِطٌ، عَارٍ مِنَ الْحِكْمَةِ ; لِأَنَّ الْحَبْسَ لَا يَرْدَعُ النَّاسَ عَنِ الْقَتْلِ، فَإِذَا لَمْ تَكُنِ الْعُقُوبَةُ رَادِعَةً فَإِنَّ السُّفَهَاءَ يَكْثُرُ مِنْهُمُ الْقَتْلُ، فَيَتَضَاعَفُ نَقْصُ الْمُجْتَمَعِ بِكَثْرَةِ الْقَتْلِ.(١)

وَمِنْ هَدْيِ الْقُرْآنِ لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ: قَطْعُ يَدِ السَّارِقِ وقَطْع يَدِ السَّارِقِ مِنْ هَدْيِ الْقُرْآنِ لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ؛ فَإِنَّ قَطْعَ الْيَدِ يُطَهِّرُ السَّارِقَ مِنْ دَنَسِ ذَنْبِ ارْتِكَابِ مَعْصِيَةِ السَّرِقَةِ، مَعَ الرَّدْعِ الْبَالِغِ الْقَطْعِ عَنِ السَّرِقَةِ. وأما كَيْفَ تُؤْخَذُ فِي مُقَابَلَةِ رُبْعِ دِينَارٍ؟ وَمَا

(١) الشنقيطي، محمد الأمين، مرجع سابق.

وَجْهُ الْعَدَالَةِ وَالْإِنْصَافِ فِي ذَلِكَ؟ فَالْجَوَابُ: أَنَّ هَذَا النَّوْعَ مِنِ اعْتِرَاضَاتِ الْمُلْحِدِينَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ، هُوَ الَّذِي نَظَمَهُ الْمِعَرِّيُّ بِقَوْلِهِ:

يَدٌ بِخَمْسِ مِئِينٍ عَسْجَدٍ وُدِيَتْ * مَا بَالُهَا قُطِعَتْ فِي رُبْعِ دِينَارِ

وَلِلْعُلَمَاءِ عَنْهُ أَجْوِبَةٌ كَثِيرَةٌ نَظْمًا وَنَثْرًا ; مِنْهَا قَوْلُ الْقَاضِي عَبْدُ الْوَهَّابِ مُجِيبًا لَهُ فِي بَحْرِهِ وَرَوِيِّهِ: عِزُّ الْأَمَانَةِ أَغْلَاهَا وَأَرْخَصَهَا * ذُلُّ الْخِيَانَةِ فَافْهَمْ حِكْمَةَ الْبَارِي

وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَمَّا خَانَتْ هَانَتْ. وَمِنَ الْوَاضِحِ: أَنَّ تِلْكَ الْيَدَ الْخَسِيسَةَ الْخَائِنَةَ لَمَّا تَحَمَّلَتْ رَذِيلَةَ السَّرِقَةِ وَإِطْلَاقَ اسْمِ السَّرِقَةِ عَلَيْهَا فِي شَيْءٍ حَقِيرٍ كَثَمَنِ الْمِجَنِّ وَالْأُتْرُجَّةِ؛ كَانَ مِنَ الْمُنَاسِبِ الْمَعْقُولِ أَنْ تُؤْخَذَ فِي ذَلِكَ الشَّيْءِ الْقَلِيلِ، الَّذِي تَحَمَّلَتْ فِيهِ هَذِهِ الرَّذِيلَةَ الْكُبْرَى.

فَانْظُرْ مَا يَدْعُو إِلَيْهِ الْقُرْآنُ مِنْ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ، وَالتَّنَزُّهِ عَمَّا لَا يَلِيقُ، وَقَطْعُ يَدِ السَّارِقِ فِي رُبْعِ دِينَارٍ فَصَاعِدًا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ التَّشْرِيعَ السَّمَاوِيَّ يَضَعُ دَرَجَةَ الْخَائِنِ مِنْ خَمْسِمِائَةِ دَرَجَةٍ إِلَى رُبْعِ دَرَجَةٍ؛ فَانْظُرْ هَذَا الْحَطَّ الْعَظِيمَ لِدَرَجَتِهِ؛ بِسَبَبِ ارْتِكَابِ الرَّذَائِلِ ... وَقَدْ عَسَرَ فَهْمُ الْمَعْنَى الْمُقَدَّمِ ذِكْرُهُ فِي الْفَرْقِ بَيْنَ السَّرِقَةِ وَبَيْنَ النَّهْبِ وَنَحْوِهِ عَلَى بَعْضِ مُنْكِرِي الْقِيَاسِ، فَقَالَ: الْقَطْعُ فِي السَّرِقَةِ دُونَ الْغَصْبِ وَغَيْرِهِ غَيْرُ مَعْقُولِ الْمَعْنَى؛ فَإِنَّ الْغَصْبَ أَكْثَرُ هَتْكًا لِلْحُرْمَةِ مِنَ السَّرِقَةِ، فَدَلَّ عَلَى عَدَمِ اعْتِبَارِ الْقِيَاسِ، لِأَنَّهُ إِذَا لَمْ يُعْمَلْ بِهِ فِي الْأَعْلَى فَلَا يُعْمَلُ بِهِ فِي الْمُسَاوِي. وَالْأَدِلَّةَ عَلَى الْعَمَلِ بِالْقِيَاسِ أَشْهَرُ مِنْ أَنْ يُتَكَلَّفَ لِإِيرَادِهَا ... وَمِنْ هَدْيِ الْقُرْآنِ لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ: رَجْمُ الزَّانِي الْمُحْصَنِ، ذَكَرًا كَانَ

أَوْ أُنْثَى، وَجَلْدُ الزَّانِي الْبِكْرِ مِائَةَ جَلْدَةٍ ذَكَرًا كَانَ أَوْ أُنْثَى.[1]

وَمِنْ هَدْيِ الْقُرْآنِ لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ: هَدْيُهُ إِلَى أَنَّ التَّقَدُّمَ لَا يُنَافِي التَّمَسُّكَ بِالدِّينِ، فَمَا خَيَّلَهُ أَعْدَاءُ الدِّينِ لِضِعَافِ الْعُقُولِ مِمَّنْ يَنْتَمِي إِلَى الْإِسْلَامِ: مِنْ أَنَّ التَّقَدُّمَ لَا يُمْكِنُ إِلَّا بِالِانْسِلَاخِ مِنْ دِينِ الْإِسْلَامِ، بَاطِلٌ لَا أَسَاسَ لَهُ، وَالْقُرْآنُ الْكَرِيمُ يَدْعُو إِلَى التَّقَدُّمِ فِي جَمِيعِ الْمَيَادِينِ الَّتِي لَهَا أَهَمِّيَّةٌ فِي دُنْيَا أَوْ دِينٍ؛ وَلَكِنَّ ذَلِكَ التَّقَدُّمَ فِي حُدُودِ الدِّينِ، وَالتَّحَلِّي بِآدَابِهِ الْكَرِيمَةِ، وَتَعَالِيمِهِ السَّمَاوِيَّةِ... إلى أن قال: فَانْظُرْ كَيْفَ خَيَّلُوا لَهُمْ أَنَّ الرَّبْطَ بَيْنَ الْمَلْزُومِ وَلَازِمِهِ كَالتَّنَافِي الَّذِي بَيْنَ النَّقِيضَيْنِ وَالضِّدَّيْنِ، وَأَطَاعُوهُمْ فِي ذَلِكَ لِسَذَاجَتِهِمْ وَجَهْلِهِمْ وَعَمَى بَصَائِرِهِمْ، فَهُمْ مَا تَقَوَّلُوا عَلَى الدِّينِ الْإِسْلَامِيِّ وَرَمَوْهُ بِمَا هُوَ مِنْهُ بَرِيءٌ؛ إِلَّا لِيُنَفِّرُوا مِنْهُ ضِعَافَ الْعُقُولِ مِمَّنْ يَنْتَمِي لِلْإِسْلَامِ لِيُمْكِنَهُمُ الِاسْتِيلَاءُ عَلَيْهِمْ؛ لِأَنَّهُمْ لَوْ عَرَفُوا الدِّينَ حَقًّا وَاتَّبَعُوهُ لَفَعَلُوا بِهِمْ مَا فَعَلَ أَسْلَافُهُمْ بِأَسْلَافِهِمْ، فَالدِّينُ هُوَ هُوَ، وَصِلَتُهُ بِاللهِ هِيَ هِيَ؛ وَلَكِنَّ الْمُنْتَسِبِينَ إِلَيْهِ فِي جُلِّ أَقْطَارِ الدُّنْيَا تَنَكَّرُوا لَهُ، وَنَظَرُوا إِلَيْهِ بِعَيْنِ الْمَقْتِ وَالِازْدِرَاءِ؛ فَجَعَلَهُمُ اللهُ أَرِقَّاءَ لِلْكَفَرَةِ الْفَجَرَةِ، وَلَوْ رَاجَعُوا دِينَهُمْ لَرَجَعَ لَهُمْ عِزُّهُمْ وَمَجْدُهُمْ، وَقَادُوا جَمِيعَ أَهْلِ الْأَرْضِ، وَهَذَا مِمَّا لَا شَكَّ فِيهِ: ﴿ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَاْ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ﴾[2]

(١) الشنقيطي، محمد الأمين، مرجع سابق.

(٢) سورة محمد، آية رقم: 4.

وَمِنْ هَدْيِ الْقُرْآنِ لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ بَيَانُهُ أَنَّهُ كُلُّ مَنِ اتَّبَعَ تَشْرِيعًا غَيْرَ التَّشْرِيعِ الَّذِي جَاءَ بِهِ سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ -صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ-، فَاتِّبَاعُهُ لِذَلِكَ التَّشْرِيعِ الْمُخَالِفِ كُفْرٌ بَوَاحٌ، مُخْرِجٌ عَنِ الْمِلَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ.

وَمِنْ هَدْيِ الْقُرْآنِ لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ هَدْيُهُ إِلَى أَنَّ الرَّابِطَةَ الَّتِي يَجِبُ أَنْ يَعْتَقِدَ أَنَّهَا هِيَ الَّتِي تَرْبِطُ بَيْنَ أَفْرَادِ الْمُجْتَمَعِ، وَأَنْ يُنَادَى بِالِارْتِبَاطِ بِهَا دُونَ غَيْرِهَا إِنَّمَا هِيَ دِينُ الْإِسْلَامِ، لِأَنَّهُ هُوَ الَّذِي يَرْبِطُ بَيْنَ أَفْرَادِ الْمُجْتَمَعِ حَتَّى يَصِيرَ بِقُوَّةِ تِلْكَ الرَّابِطَةِ جَمِيعُ الْمُجْتَمَعِ الْإِسْلَامِيِّ كَأَنَّهُ جَسَدٌ وَاحِدٌ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى. وبِتِلْكَ الرَّابِطَةَ الدينية تَتَلَاشَى جَمِيعُ الرَّوَابِطِ النِّسْبِيَّةِ وَالْعَصَبِيَّةِ: وَقَوْلُ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «دَعُوهَا فَإِنَّهَا مُنْتِنَةٌ» يَقْتَضِي وُجُوبَ تَرْكِ النِّدَاءِ بِهَا. فَدَلَّ هَذَا الْحَدِيثُ الصَّحِيحُ عَلَى أَنَّ النِّدَاءَ بِرَابِطَةِ الْقَوْمِيَّةِ مُخَالِفٌ لِمَا أَمَرَ بِهِ النَّبِيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وَأَنَّ فَاعِلَهُ يَتَعَاطَى الْمُنْتِنَ، وَلَا شَكَّ أَنَّ الْمُنْتِنَ خَبِيثٌ، وَاللهُ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿ ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ ﴾ (١) الْآيَةَ، وَيَقُولُ: وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ. وَفِي رِوَايَةٍ فِي الصَّحِيحِ: «لَيْسَ مِنَّا مِنْ ضَرَبَ الْخُدُودَ، أَوْ شَقَّ الْجُيُوبَ، أَوْ دَعَا بِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ» ، وَذَلِكَ صَرِيحٌ فِي أَنَّ مَنْ دَعَا تِلْكَ الدَّعْوَى لَيْسَ مِنَّا، وَهُوَ دَلِيلٌ وَاضِحٌ عَلَى التَّحْرِيمِ الشَّدِيدِ، وَمِمَّا يَدُلُّ لِذَلِكَ قَوْلُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ تَعَزَّى عَلَيْكُمْ بِعَزَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَعِضُّوهُ بِهَنِ أَبِيهِ

(١) سورة النور، آية رقم: 26.

وَلَا تُكَنُّوا»،[1]

فَانْظُرْ كَيْفَ سَمَّى النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَلِكَ النِّدَاءَ «عَزَاءَ الْجَاهِلِيَّةِ» وَأَمَرَ أَنْ يُقَالَ لِلدَّاعِي بِهِ «اعْضَضْ عَلَى هَنِّ أَبِيكَ» أَيْ فَرْجِهِ، وَأَنْ يُصَرَّحَ لَهُ بِذَلِكَ وَلَا يُعَبَّرُ عَنْهُ بِالْكِنَايَةِ، فَهَذَا يَدُلُّ عَلَى شِدَّةِ قُبْحِ هَذَا النِّدَاءِ، وَشِدَّةِ بُغْضِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَهُ. وَاعْلَمْ أَنَّ رُؤَسَاءَ الدُّعَاةِ إِلَى نَحْوِ هَذِهِ الْقَوْمِيَّةِ الْعَرَبِيَّةِ: أَبُو جَهْلٍ، وَأَبُو لَهَبٍ، وَالْوَلِيدُ بْنُ الْمُغِيرَةِ، وَنُظَرَاؤُهُمْ مِنْ رُؤَسَاءِ الْكَفَرَةِ. وَقَدْ بَيَّنَ تَعَالَى تَعَصُّبَهُمْ لِقَوْمِيَّتِهِمْ فِي آيَاتٍ كَثِيرَةٍ. ولَا خِلَافَ بَيْنَ الْعُلَمَاءِ – كَمَا ذَكَرْنَا آنِفًا – فِي مَنْعِ النِّدَاءِ بِرَابِطَةٍ غَيْرِ الْإِسْلَامِ، كَالْقَوْمِيَّاتِ وَالْعَصَبِيَّاتِ النِّسْبِيَّةِ، وَلَا سِيَّمَا إِذَا كَانَ النِّدَاءُ بِالْقَوْمِيَّةِ يُقْصَدُ مِنْ وَرَائِهِ الْقَضَاءُ عَلَى رَابِطَةِ الْإِسْلَامِ وَإِزَالَتُهَا بِالْكُلِّيَّةِ، فَإِنَّ النِّدَاءَ بِهَا حِينَئِذٍ مَعْنَاهُ الْحَقِيقِيُّ: أَنَّهُ نِدَاءٌ إِلَى التَّخَلِّي عَنْ دِينِ الْإِسْلَامِ، وَرَفْضِ الرَّابِطَةِ السَّمَاوِيَّةِ رَفْضًا بَاتًّا؛ فَالْعُرُوبَةُ لَا يُمْكِنُ أَنْ تَكُونَ خَلَفًا مِنَ الْإِسْلَامِ، وَاسْتِبْدَالُهَا بِهِ صَفْقَةٌ خَاسِرَةٌ، والْحِكْمَةَ فِي جَعْلِهِ بَنِي آدَمَ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ هِيَ التَّعَارُفُ فِيمَا بَيْنَهُمْ، وَلَيْسَتْ هِيَ أَنْ يَتَعَصَّبَ كُلُّ شَعْبٍ عَلَى

(١) هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ، أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ مِنْ طُرُقٍ مُتَعَدِّدَةٍ عَنْ عُتَيِّ بْنِ ضَمْرَةَ السَّعْدِيِّ، عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وَذَكَرَهُ صَاحِبُ الْجَامِعِ الصَّغِيرِ بِلَفْظِ: «إِذَا سَمِعْتُمْ مَنْ يُعْتَزَى بِعَزَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَعَضُّوهُ وَلَا تَكْنُوا»، وَأَشَارَ لِأَنَّهُ أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ فِي الْمُسْنَدِ، وَالنَّسَائِيُّ، وَابْنُ حِبَّانَ، وَالطَّبَرَانِيُّ فِي الْكَبِيرِ، وَالضِّيَاءُ الْمَقْدِسِيُّ عَنْ أُبَيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وَجَعَلَ عَلَيْهِ عَلَامَةَ الصِّحَّةِ. وَذَكَرَهُ –أَيْضًا– صَاحِبُ الْجَامِعِ الصَّغِيرِ بِلَفْظِ «إِذَا رَأَيْتُمُ الرَّجُلَ يَتَعَزَّى ...» إِلَخْ، وَأَشَارَ إِلَى أَنَّهُ أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي الْمُسْنَدِ وَالتِّرْمِذِيُّ، وَجَعَلَ عَلَيْهِ عَلَامَةَ الصِّحَّةِ.

غَيْرِهِ، وَكُلُّ قَبِيلَةٍ عَلَى غَيْرِهَا، فَيَلْزَمُ النَّاظِرُ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ أَنْ يُفَرِّقَ بَيْنَ الْأَمْرَيْنِ، وَيَعْلَمَ أَنَّ النِّدَاءَ بِرَوَابِطِ الْقَوْمِيَّاتِ لَا يَجُوزُ عَلَى كُلِّ حَالٍ، وَلَا سِيَّمَا إِذَا كَانَ الْقَصْدُ بِذَلِكَ الْقَضَاءَ عَلَى رَابِطَةِ الْإِسْلَامِ، وَإِزَالَتَهَا بِالْكُلِّيَّةِ بِدَعْوَى أَنَّهُ لَا يُسَايِرُ التَّطَوُّرَ الْجَدِيدَ، أَوْ أَنَّهُ جُمُودٌ وَتَأَخُّرٌ عَنْ مُسَايَرَةِ رَكْبِ الْحَضَارَةِ - نَعُوذُ بِاللهِ مِنْ طَمْسِ الْبَصِيرَةِ - وَأَنَّ مَنْعَ النِّدَاءِ بِرَوَابِطِ الْقَوْمِيَّاتِ لَا يُنَافِي أَنَّهُ رُبَّمَا انْتَفَعَ الْمُسْلِمُ بِنُصْرَةِ قَرِيبِهِ الْكَافِرِ بِسَبَبِ الْعَوَاطِفِ النِّسْبِيَّةِ وَالْأَوَاصِرِ الْعَصَبِيَّةِ الَّتِي لَا تَمُتُّ إِلَى الْإِسْلَامِ بِصِلَةٍ، كَمَا وَقَعَ مِنْ أَبِي طَالِبٍ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَدْ ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ عَنْهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّ اللهَ يُؤَيِّدُ هَذَا الدِّينَ بِالرَّجُلِ الْفَاجِرِ» وَلَكِنَّ تِلْكَ الْقَرَابَاتِ النِّسْبِيَّةَ لَا يَجُوزُ أَنْ تُجْعَلَ هِيَ الرَّابِطَةَ بَيْنَ الْمُجْتَمَعِ؛ لِأَنَّهَا تَشْمَلُ الْمُسْلِمَ وَالْكَافِرَ، وَمَعْلُومٌ أَنَّ الْمُسْلِمَ عَدُوُّ الْكَافِرِ. وَالْحَاصِلُ أَنَّ الرَّابِطَةَ الْحَقِيقِيَّةَ الَّتِي تَجْمَعُ الْمُفْتَرَقَ، وَتُؤَلِّفُ الْمُخْتَلَفَ هِيَ رَابِطَةُ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»... وَمِمَّا يُوَضِّحُ لَكَ أَنَّ الرَّابِطَةَ الْحَقِيقِيَّةَ هِيَ دِينُ الْإِسْلَامِ قَوْلُهُ تَعَالَى فِي أَبِي لَهَبٍ عَمِّ النَّبِيِّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ. وَيُقَابِلُ ذَلِكَ بِمَا لِسَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ مِنَ الْفَضْلِ وَالْمَكَانَةِ عِنْدَ النَّبِيِّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَالْمُسْلِمِينَ، وَقَدْ جَاءَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ فِيهِ: «سَلْمَانُ مِنَّا أَهْلَ الْبَيْتِ». (١)

لَقَدْ رَفَعَ الْإِسْلَامُ سَلْمَانَ فَارِسٍ ... وَقَدْ وَضَعَ الْكُفْرُ الشَّرِيفَ أَبَا لَهَبِ

(١) رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ وَالْحَاكِمُ فِي الْمُسْتَدْرَكِ، وَجَعَلَ عَلَيْهِ صَاحِبُ الْجَامِعِ الصَّغِيرِ عَلَامَةَ الصِّحَّةِ، وَضَعَّفَهُ الْحَافِظُ الذَّهَبِيُّ، وَقَالَ الْهَيْثَمِيُّ فِيهِ، عِنْدَ الطَّبَرَانِيِّ كَثِيرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ الْمُزَنِيُّ ضَعَّفَهُ الْجُمْهُورُ، وَبَقِيَّةُ رِجَالِهِ ثِقَاتٌ.

وَقَدْ أَجْمَعَ الْعُلَمَاءُ: عَلَى أَنَّ الرَّجُلَ إِنْ مَاتَ وَلَيْسَ لَهُ مِنَ الْقُرَبَاءِ إِلَّا ابْنٌ كَافِرٌ، أَنَّ إِرْثَهُ يَكُونُ لِلْمُسْلِمِينَ بِأُخُوَّةِ الْإِسْلَامِ، وَلَا يَكُونُ لِوَلَدِهِ لِصُلْبِهِ الَّذِي هُوَ كَافِرٌ، وَالْمِيرَاثُ دَلِيلُ الْقَرَابَةِ، فَدَلَّ ذَلِكَ عَلَى أَنَّ الْأُخُوَّةَ الدِّينِيَّةَ أَقْرَبُ مِنَ الْبُنُوَّةِ النَّسَبِيَّةِ.

وَبِالْجُمْلَةِ، فَلَا خِلَافَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ أَنَّ الرَّابِطَةَ الَّتِي تَرْبُطُ أَفْرَادَ أَهْلِ الْأَرْضِ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ، وَتَرْبُطُ بَيْنَ أَهْلِ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ، هِيَ رَابِطَةُ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ» ، فَلَا يَجُوزُ الْبَتَّةَ النِّدَاءُ بِرَابِطَةٍ غَيْرَهَا. وَمَنْ وَالَى الْكُفَّارَ بِالرَّوَابِطِ النَّسَبِيَّةِ مَحَبَّةً لَهُمْ، وَرَغْبَةً فِيهِمْ يَدْخُلُ فيمن تولاهم ... [1]

وانظر إلى روعةِ ما سجله يراعُ العلامة الشنقيطي –رحمه الله–، كأنَّما يُطالعُ ما يحصُل في زماننا هذه الأيام.

والشاهدُ أنه يمكنُنا إضافة العديدِ من النماذج التي هَدَى فيه القرآن الكريم للتي هي أقومُ؛ لولا ضيقُ المقامِ، ولعله يتسنى لنا ذلك في مناسباتٍ أُخرَى. كما أنّ الذي لا بد من إبرازِهِ في هذا الصددِ أنّ جميعَ ما ذكره الشتقيطي – رحمه الله تعالى – مِن مُصلِحات الدِّينِ، وتركُها؛ يُفْضِي إلى قَضِّ المَضاجعِ، وتحقق مفسدات الدين، لا جَرَمَ؛

وذلك يعنِي لزومُ كتابِ اللهِ، وسنة رسولِهِ – صلَّى اللهُ عليهِ وَسَلَّمَ – كما قال تعالى في معرض قصة آدم، وز وجه، وما جرى بينهما وبين إبليس اللعين: ﴿ قَالَ ٱهۡبِطَا مِنۡهَا

(١) الشنقيطي، مرجع سابق، ص ص: .....، بتصرف.

جَمِيعًا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ ﴾، [1] وغير ذلك من النصوصِ الواردة في هذا المعنَى.

هذا، وقد قَالَ تَعَالَى: ﴿ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ۚ ﴾ [الْأَنْعَام: 19]، فَمَنْ بَلَغَهُ هَذَا الْقُرْآنُ مِنْ عَرَبٍ وَعَجَمٍ وَأَسْوَدَ وَأَحْمَرَ وَإِنْسٍ وَجَانٍّ فَهُوَ نَذِيرٌ لَهُ، وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ ۚ ﴾ [هُودٍ: 17] فَمَنْ كَفَرَ بِالْقُرْآنِ مِمَّنْ ذَكَرْنَا فَالنَّارُ موعده بنص الله تعالى كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ ۖ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [الْقَلَم: 44] وَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «بُعِثْتُ إِلَى الْأَحْمَرِ وَالْأَسْوَدِ» قَالَ مُجَاهِدٌ يَعْنِي الْإِنْسَ وَالْجِنَّ. فَهُوَ صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ إِلَى جَمِيعِ الثَّقَلَيْنِ الْإِنْسُ والجن مبلغا لهم عن الله تعالى مَا أَوْحَاهُ إِلَيْهِ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ الْعَزِيزِ الَّذِي لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ [فُصِّلَتْ: 42] وَقَدْ أَعْلَمَهُمْ فِيهِ عَنِ اللهِ تَعَالَى أَنَّهُ نَدَبَهُمْ إِلَى تَفَهُّمِهِ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾ [2] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ

(١) طه: ١٢٢ – ١٢٤.

(٢) النِّسَاءِ: 82.

إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾ ﴾. (1) وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ ﴾ [مُحَمَّدٍ: 24].

فَالْوَاجِبُ عَلَى الْعُلَمَاءِ الْكَشْفُ عَنْ مَعَانِي كَلَامِ اللهِّ وَتَفْسِيرُ ذَلِكَ وَطَلَبُهُ مِنْ مَظَانِّهِ وَتَعَلُّمُ ذَلِكَ وَتَعْلِيمُهُ، كما أنّ عَلى الْمُسْلِمين الانتهاءَ عَمَّا ذَمَّهُمُ اللهُّ تَعَالَى بِهِ، وَالائتمارَ بِمَا أُمِرُوا بِهِ مِنْ تَعَلُّمِ كِتَابِ اللهِّ الْمُنَزَّلِ إِلَيْنَا وتعليمه، وتفهمه، وتفهيمه، قال تَعَالَى: ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾ ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [الْحَدِيدِ: 16- 17] فَفِي ذِكْرِهِ تَعَالَى لِهَذِهِ الْآيَةِ بَعْدَ الَّتِي قَبْلَهَا تَنْبِيهٌ عَلَى أَنَّهُ تَعَالَى كَمَا يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ يلين القلوب بالإيمان والهدى بَعْدَ قَسْوَتِهَا مِنَ الذُّنُوبِ وَالْمَعَاصِي، وَاللهُّ الْمُؤَمَّلُ المسؤول أن يفعل بنا هذا إِنَّهُ جَوَادٌ كَرِيمٌ. (2)

ب/ مِثْلِيَّةُ السُّنَّةِ الصحيحةِ للقُرآنِ الكَريمِ فِي الاحتِجَاجِ.

" السُّنَّةُ الصَّحيحةُ " هي مثلُ للقُرآنِ الكَريمِ في الاحتِجَاجِ؛ لا في الإعجازِ، أو نحو ذلك ممَّا هو من خصائصِ القُرآنِ الكريمِ. وتقييدُ السُّنَّةِ بالصحَّةِ شأنٌ لا غِنَى عنه؛ ذلك

(١) ص: 29.

(٢) تفسير ابن كثير ط العلمية، (1/ 8)، بتصرف.

لأن السنة غير الصحيحة لا يبنَى عليه ا حكمٌ شرعيٌّ، على الأصَحِّ؛ وإن اختلفواْ في جوازِ العملِ بالحديثِ الضعيفِ في فضائلِ الأعمالِ، وليس كلَّ خِلافٍ معتبَرٌ.

قال ابن كثير – رحمه الله – مبينًا علاقةَ السنةِ بالقرآنِ ، قائلا: فإن قال قائلٌ: فَمَا أَحْسَنُ طُرُقِ التَّفْسِيرِ؟ فَالْجَوَابُ إِنَّ أَصَحَّ الطُّرُقِ فِي ذَلِكَ أَنْ يُفَسَّرَ الْقُرْآنُ بِالْقُرْآنِ فَمَا أُجمل في مكانٍ؛ فإنه قد بُسِط فِي مَوْضِعٍ آخَرَ، فَإِنْ أَعْيَاكَ ذَلِكَ؛ فَعَلَيْكَ بِالسُّنَّةِ؛ فَإِنَّهَا شَارِحَةٌ لِلْقُرْآنِ وَمُوَضِّحَةٌ لَهُ، بَلْ قَدْ قَالَ الْإِمَامُ أَبُو عَبْدِ اللهَّ مُحَمَّدُ بْنُ إِدْرِيسَ الشَّافِعِيُّ رحمه الله تعالى: كُلُّ مَا حَكَمَ بِهِ رَسُولُ اللهَّ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَهُوَ مِمَّا فَهِمَهُ مِنَ الْقُرْآنِ ...).[1]

وأورد العلامة الشنقيطي في أضواء البيان له ما يلي – بعدَ كلامٍ –:[2]

فَتَحْصُلُ لَنَا مِنْ هَذِهِ الْأَقْوَالِ الْأَرْبَعَةِ أَنَّ الصَّحِيحَ الْفِعْلُ تَأَسِّيًا بِرَسُولِ اللهَّ – صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – وُجُوبًا أَوْ نَدْبًا، وَمَثَّلُوا لِهَذَا الْفِعْلِ بِخَلْعِهِ – صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – نَعْلَهُ فِي الصَّلَاةِ، فَخَلَعَ الصَّحَابَةُ كُلُّهُمْ نِعَالَهُمْ، فَلَمَّا انْتَهَى – صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – سَأَلَهُمْ عَنْ خَلْعِهِمْ نِعَالَهُمْ قَالُوا: رَأَيْنَاكَ فَعَلْتَ فَفَعَلْنَا، فَقَالَ لَهُمْ: «أَتَانِي جِبْرِيلُ وَأَخْبَرَنِي أَنَّ فِي نَعْلِي أَذًى؛ فَخَلَعْتُهَا»، فَإِنَّهُ أَقَرَّهُمْ عَلَى خَلْعِهِمْ تَأَسِّيًا بِهِ، وَلَمْ يَعِبْ عَلَيْهِمْ مَعَ أَنَّهُمْ لَمْ

(١)تفسير ابن كثير ط العلمية، (1/ 8)، بتصرف.

(٢) أضواء البيان ما يلي: في إيضاح القرآن بالقرآن (8/ 40).

يَعْلَمُوا الْحُكْمَ قَبْلَ إِخْبَارِهِ إِيَّاهُمْ، وَقَدْ جَاءَ هُنَا مَا تَقُولُونَ بِصِيغَةِ الْعُمُومِ.

وَقَالَ الشَّيْخُ - رَحِمَهُ اللهُ - فِي دَفْعِ الْإِيهَامِ فِي سُورَةِ «الْأَنْفَالِ» عِنْدَ قَوْلِهِ تَعَالَى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ [الْأَنْفَالِ : 24] ، مَا نَصُّهُ: وَهَذِهِ الْآيَةُ تَدُلُّ بِظَاهِرِهَا عَلَى أَنَّ الِاسْتِجَابَةَ لِلرَّسُولِ الَّتِي هِيَ طَاعَتُهُ لَا تَجِبُ إِلَّا إِذَا دَعَانَا لِمَا يُحْيِينَا، وَنَظِيرُهَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ ﴾ [الممتحنة:12].

وَقَدْ جَاءَ فِي آيَاتٍ أُخَرَ مَا يَدُلُّ عَلَى وُجُوبِ اتِّبَاعِهِ مُطْلَقًا مِنْ غَيْرِ قَيْدٍ، كَقَوْلِهِ:

﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾ ﴾ [الحشر : 7] . وَقَوْلِهِ: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾ الْآيَةَ [آل عمران: ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ﴾[النساء : 80] . وَالظَّاهِرُ: أَنَّ وَجْهَ الْجَمْعِ - وَاللهُ تَعَالَى أَعْلَمُ -: أَنَّ آيَاتِ الْإِطْلَاقِ مُبَيِّنَةٌ أَنَّهُ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لَا يَدْعُونَا إِلَّا لِمَا يُحْيِينَا مِنْ خَيْرَيِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، فَالشَّرْطُ الْمَذْكُورُ فِي قَوْلِهِ: إِذَا دَعَاكُمْ، مُتَوَفِّرٌ فِي دُعَاءِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لِمَكَانِ عِصْمَتِهِ، كَمَا دَلَّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ ﴾ [النجم : 3 - 4] . وَالْحَاصِلُ: أَنَّ آيَةَ: إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ، مُبَيِّنَةٌ أَنَّهُ لَا طَاعَةَ؛ إِلَّا لِمَنْ يَدْعُو إِلَى مَا يُرْضِي اللهَ، وَأَنَّ الْآيَاتِ الْأُخَرَ بَيَّنَتْ أَنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لَا يَدْعُو أَبَدًا إِلَّا إِلَى ذَلِكَ، صَلَوَاتُ للهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ، انْتَهَى. وَقَدْ بَيَّنَتِ السُّنَّةُ كَذَلِكَ حَقِيقَةَ وَمُنْتَهَى مَا جَاءَ بِهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فِي قَوْلِهِ: «مَا تَرَكْتُ خَيْرًا يُقَرِّبُكُمْ إِلَى اللهِ إِلَّا بَيَّنْتُهُ لَكُمْ وَأَمَرْتُكُمْ بِهِ، وَمَا تَرَكْتُ شَرًّا يُبَاعِدُكُمْ عَنِ اللهِ

إِلَّا بَيَّنْتُهُ لَكُمْ، وَحَذَّرْتُكُمْ مِنْهُ وَنَهَيْتُكُمْ عَنْهُ».[1]

وَالْوَاقِعُ أَنَّ الْعَمَلَ بِهَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ هُوَ مِنْ لَوَازِمِ نُطْقِ الْمُسْلِمِ بِالشَّهَادَتَيْنِ؛ لِأَنَّ قَوْلَهُ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، اعْتِرَافٌ للهِ تَعَالَى بِالْأُلُوهِيَّةِ وَبِمُسْتَلْزَمَاتِهَا، وَمِنْهَا إِرْسَالُ الرُّسُلِ إِلَى خَلْقِهِ، وَإِنْزَالُ كُتُبِهِ وَقَوْلَهُ: أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، اعْتِرَافٌ بِرِسَالَةِ مُحَمَّدٍ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مِنَ اللهِ لِخَلْقِهِ، وَهَذَا يَسْتَلْزِمُ الْأَخْذَ بِكُلِّ مَا جَاءَ بِهِ هَذَا الرَّسُولُ الْكَرِيمُ مِنَ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَعْبُدَ اللهَ إِلَّا بِمَا جَاءَ بِهِ رَسُولُ اللهِ، وَلَا يَحِقُّ لَهُ أَنْ يَعْصِيَ اللهَ بِمَا نَهَاهُ عَنْهُ رَسُولُ اللهِ، فَهِيَ بِحَقٍّ مُسْتَلْزِمٌ لِلنُّطْقِ بِالشَّهَادَتَيْنِ.

وَيُؤَيِّدُ هَذَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ﴾ [النساء : 59] فَرَبَطَ مَرَدَّ الْخِلَافِ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ بِالْإِيمَانِ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ...؛ فَاتَّضَحَ بِهَذَا كُلِّهِ أَنَّ مَا أَتَانَا بِهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَهُوَ مِنْ عِنْدِ اللهِ، وَأَنَّهُ بِمَنْزِلَةِ الْقُرْآنِ فِي التَّشْرِيعِ، وَأَنَّ السُّنَّةَ تَسْتَقِلُّ بِالتَّشْرِيعِ كَمَا جَاءَتْ بِتَحْرِيمِ لُحُومِ الْحُمُرِ الْأَهْلِيَّةِ. وَكُلُّ ذِي مِخْلَبٍ مِنَ الطَّيْرِ وَنَابٍ مِنَ السِّبَاعِ، وَبِتَحْرِيمِ الْجَمْعِ بَيْنَ الْمَرْأَةِ وَعَمَّتِهَا أَوْ خَالَتِهَا، أَوْ هِيَ مَعَ ابْنَةِ أَخِيهَا أَوِ ابْنَةِ أُخْتِهَا وَنَحْوَ ذَلِكَ، وَقَدْ قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا أُلْفِيَنَّ أَحَدَكُمْ مُتَّكِئًا عَلَى أَرِيكَتِهِ أَهْلِهِ يَقُولُ: مَا وَجَدْنَا فِي كِتَابِ اللهِ أَخَذْنَاهُ، وَمَا لَمْ نَجِدْهُ فِي كِتَابِ اللهِ تَرَكْنَاهُ، أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْكِتَابَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ» .

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (8/ 41)

وَالنَّصُّ هُنَا عَامٌّ فِي الْأَخْذِ بِكُلِّ مَا أَتَانَا بِهِ، وَتَرْكِ مَا نَهَانَا عَنْهُ، وَقَدْ جَاءَ تَخْصِيصُ هَذَاالْعُمُومِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة : 286]، وَجَاءَ الْحَدِيثُ فَفَرَّقَ بَيْنَ عُمُومِ النَّهْيِ فِي قَوْلِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ، وَمَا نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا»، وَقَدْ جَاءَ هَذَا التَّذْيِيلُ عَلَى هَذِهِ الْآيَةِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٢﴾ [المائدة : 2]، إِيذَانًا بِأَنَّ هَذَا التَّكْلِيفَ لَا هَوَادَةَ فِيهِ، وَأَنَّهُ مُلْزِمٌ لِلْأُمَّةِ سِرًّا وَعَلَنًا، وَأَنَّ مَنْ خَالَفَ شَيْئًا مِنْهُ يَتَوَجَّهُ إِلَيْهِ هَذَا الْإِنْذَارُ الشَّدِيدُ؛ لِأَنَّ مَعْصِيَتَهُ مَعْصِيَةٌ للهِ، وَطَاعَتَهُ مِنْ طَاعَةِ اللهِ: مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ، وَالْعِلْمُ عِنْدَ اللهِ تَعَالَى. (١)

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (8/ 42 – فما بعدها)، بتصرف.

المبحث الثالث

توظيف وسائل الإعلام للإصلاح

الإعلام: مصدر أعلم – يعلم – إعلامًا: وهو الإخبار، وأما الإنباء: فهو الإخبار عن نبإ عظيم: ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ۝١ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلۡعَظِيمِ ۝٢ ٱلَّذِي هُمۡ فِيهِ مُخۡتَلِفُونَ ۝٣﴾، [1] وغير ذلك من مشتقاتِ النبأ في القرآن الكريم. كما أنّ الإعلام يختلف عن كل من الإعلان، والدعاية، والدعوة، وغير ذلك من المفردات في دُنيا الإعلامِ. والإعلام أخص من الاتصال.

ومن الجَلِيِّ في هذا العصرِ أن الإعلامَ أضحَى سلاحَ العصرِ الأول، فما أنفعَه؛ لو استخدم بطريقة راشدة، وبنَّاءَة؛ ولكن بالمقابل ما أَضرَّهُ؛ لو ترك بأيدي العابثين؛ ولذلك تفطنت الدول الصناعية لهذا الأمر مبكرًا؛ فأنفقوا الأموالَ القارونية –؛ إن صح التعبير – في الإعلامِ، وجعلوه خيرَ آلةٍ تعجل لهم تحقيق أهدافهم المرسومة؛ ولذلك استطاع أن يفرضوا هيبتهم في الآونة الأخيرة على جميع الشعوب، بما في ذلك العربُ، والمسلمون الذين كانت الريادة لهم، كما هو محفوظٌ في التاريخ؛ فضاع بذلك الكثير من مجد المسلمين، وليس الإعلام، والتقنية بدعًا في ذلك؛ وإن كانت جهودٌ مقدرة في الحقب الأخيرة لدى كثير من الجهات، والإعلاميين والشخصيات، والخبراء

(١) النبأ: ١ – ٣.

الذين اجتهدوا في إعطاءِ الإعلامِ مكانته اللائقة.

و(يعتبر الإعلام أحد الآليات الرئيسة والمهمة في نشر تعاليم الدين الإسلامي الحنيف والدعوة إلى الله تعالى، ذلك أن الإسلام نظام متكامل جاء لتنظيم مفاصل الحياة كافة والسلوك الإنساني في أوقات السلم والحرب. وكي يقوم الإعلام بواجبه على أكمل وجه، ويؤدي رسالته النبيلة بحقها، كان لا بد له من الالتزام بمجموعة من الضوابط والمعايير والقيم التي تحكم أداءه وتصوبه إنْ ضل الطريق، ولهذا تميز الإعلام الإسلامي بضوابط قرآنية شرعية تمنحه القدرة على التأثير في الرأي العام واتجاهاته، عكس الإعلام المضلل الذي تسيطر عليه الأنظمة المستبدة وشعاره "الغاية تبرر الوسيلة" لتغييب الناس عن الواقع الحقيقي، وتحسين وجههم القبيح وممارساتهم الشيطانية بحق شعوبهم، بغية البقاء والاستمرار على كرسي السلطة! فلا تضبطهم ضوابط ولا تحكمهم أخلاق ولا مروءة، فهم مسل وخون من كل معالم الإنسانية). [1]

هذا، فلا يخفى ما للإعلام مِن دور فاعل في العمليةِ الإصلاحية؛ إذا اهتم المسلمون بالإعلام، ووسائله المختلفة، وطوروه التطوير المنشود شكلا، ومضمونا، وبذل الأثرياء فيه أموالا ضخمة تتناسب مع حجم عالمية الدعوة الإسلامية، ووجهوا عدداً معتبراً من الشباب لدراسته، والإبداع فيه نظرياً وتطبيقياً، ثم آمنوا بضرورة تحقيق البلاغ المبين من جميع الوسائل المتاحة، وخاصة الإعلام بأنواعه المختلفة، كما أنّ من

(١) https://alkhaleejonline.net

المفيد –في هذا الصدد– ربط الدعوة الإسلامية بالإعلام، وتدريب مشائخ الدعوة عليها؛ تحقيقا للمعاصرة من أجل الوصول للنتائج المنشودة. كما يجدر الاهتمام بجميع الناس حين الدعوة بلا استثناء، وخاصة الشباب والمراهقين، والناشئة، وغير ذلك كثير من سبل تحقيق الأهداف المرسومة في هذا الباب.

هذه الضرورة الإعلامية قُصوَى بالنسبة للدعاةِ، فالداعية إذا أراد النجاح في إيصال دعوته للناس فهو يحتاج إلى أن يعدد قنوات اتصاله معهم، ولقد تعددت قنوات التواصل في عصرنا ما بين برامج دعوية امتلأت بها القنوات الفضائية والإذاعات، كما شملت الكتاب، والمجلة، والجريدة، والمدونات، والمواقع الإلكترونية، ومواقع التواصل الاجتماعي، بالإضافة إلى القنوات التقليدية كالخطابة، والمحاضرة، والدرس، والندوة، والمؤتمر. وترجع أهمية عملية اتصال الدعاة بالجماهير عبر وسائل الإعلام إلى المقدرة على المشاركة، والتفاعل مع الآخرين، وتبادل الآراء، والأفكار، والمعلومات والظهور الإعلامي القوي والمقنع، في حين أن عدم المقدرة على الاتصال مع الغير والتفاعل معه مع الأخطاء الشائعة يعد نقصًا اجتماعيًا خطيرًا في عصر التواصل والإعلام؛ لذلك نجد كثيرًا من الدعاة يتحرجون من الظهور على الفضائيات لعدم امتلاكهم المقدرة على الأداء الإعلامي الذي يليق بهم، وهذا يحتاج إلى صقل وتدريب وتمرين طويل على لغة إعلامية بسيطة تتوافق مع لغة الجسد وتطورات العصر... وكان من المفترض أن ينتبه العاملون في حقل الدعوة إلى الله تعالى إلى الاستثمار الدعوي عبر

الفضائيات ووسائل التواصل، فهذا الاستثمار أصدق وأسرع في التعبير عما يجول في نفس المدعو من خواطر وأفكار يريد إيصالها إلى المدعوين. ثم ذكر أن مما أوصي الإخوة القائمين على المؤسسات الدعوية والجامعات الإسلامية والفضائيات الهادفة بالآتي:

1- تدريس مواد الإعلام الإسلامي وفن الإقناع وسيكولوجيا الجماهير في الجامعات والمعاهد.

2- على الدعاة في الفضائيات الخروج عن الأنماط التقليدية والجمود، والعمل على التفاعل مع الجمهور بطرق متعددة فالخطاب الجامد المباشر لم يجد نفعاً ولا قبولاً عند شرائح كبيرة من شبابنا.

3- تأهيل فريق متكامل من الإعلاميين والشرعيين، مع حسن انتقائهم واختيارهم بناء على معرفة كافية بالموازين الشرعية، وتفريغهم للقيام بواجب الدعوة إلى الله من خلال الوسائل الإعلامية المعاصرة، والعمل على الارتقاء بهم علميًا، ودعويًا، وإعلاميًا.

4- العمل على إعداد برامج تلفزيونية جماهيرية تفاعلية حوارية.

5- تشجيع المرأة على الانخراط في مجال العمل الإعلامي، والتخصص فيه لممارسة عملها في الدعوة إلى الله، دون الخروج عن أحكام الشريعة. (1)

(1عبد الله لبابيدي https://www.aljazeera.net

وكما أنّ هناك حاجة قصوى للدعاة إلى الإعلام؛ فكذلك الإعلام مفتقرٌ إلى الشريعةِ، والدعوةِ، ورجالِها بنفسِ القدرِ؛ لا بل أشد؛ ووضوح ذلك أغنى عنِ الإسهابِ فيهِ؛ وعليه؛ فمن الواجبِ على أهلِ الشريعةِ، وجهابذة الدعوة الاهتمام بوسائلِ الإعلامِ المختلفةِ، وتوظيفها في إصلاحِ مفسدات الدين المتقدمة، وذلك من أولَى الأوليات، لا يجوزُ للإعلامِ، والإعلامِ الإسلامي التغاضِي عنها؛ وعدم الالتزام بذلك هو الذي أفضَى تلك النتائج العكسية التي لا يزالُ العالم يتجرَّعُ مراراتِهَا.

هذا، ولا ينبغِي إغفالُ أيِّ وسيلةٍ من وسائلِ الاتصالِ –كما تقدَّمَ–، وخَاصَّةً وسائلُ الاتِّصَالِ الجماهيري، وبوجهٍ أَخَصّ "وسائل الإعلامِ الجَديد"، التي اكتسحت الساحة، وهي سيدةُ الموقفِ؛ فَالوَاجِبُ استثمارُهَا فيما يخدِمُ العمَلِيَّةَ الإصلاحِيَّةِ، وخاصَّةً ما له خدمة القرآن وعلومه، والشريعة برمتها، وكل العلوم النافعة، والمجالات العملية النافعة.

خاتمة:

أولا: أهم النتائج:

بعد الفراغ من البحثِ؛ توصَّلَ إلى النتائج الآتية:

1/ رأسُ مالِ الإنسانِ هُوَ " دينُهُ " الذي خُلِقَ من أجلِه؛ لا ينبَغِي أن يُؤْتَى مِنْ قِبَلِهِ بأيِّ شَيءٍ من مُفسِداتِهِ.

2/ يُعتَبرُ القرآنُ الكريمُ المصدرُ التشريعِيُّ الأوَّلُ بلا مُنازِعٍ، ثم السنة النبوية الصحيحةُ، ثم الإجماعُ، فالقياسُ، وهي محلُّ اتفاقٍ بين العُلماءِ؛ إلا خلافًا شَاذًّا في القياسِ من ابن حزمٍ الظَّاهرِيِّ، ومن كانَ معَهُ ظَهيرًا من بعضِ قُدامَى العُلَمَاءِ، ومُحَدَثِيهِم، وليس كل خلافٍ معتبَرٍ؛ فكلامُهم مرجوحٌ، وأدلَّتُهم غيرُ معتبرة، وخاصة وأن كثيرًا منهم استخدمَ القياس في حين يدري أو لا يدري؛ فتناقَضَ؛ فأدلةُ هؤلاءِ أضعفُ من أن يُزِيحُواْ القياسَ من عُضويةِ الأدلةِ الشرعية التي هي مَحَلُّ اتفاقٍ بينَهُم؛ ولكنَّه من الواجب تقديرهم؛ فهم من العلمِ، والتقوَى عند أهلِ العلمِ بمكانٍ رفيعٍ، تشهد لهم كتبهم بذلك. وأما الأدلة الشرعية الأخرى، فهي مَوْضِعُ خِلافٍ عندَ العُلماءِ، ولا بد أن تكون مُستنِدةً إلى القرآنِ الكريم، أو السُّنَّةِ الشريفةِ، أو نحو ذلك مما ذكرنا، لا جرم؛ حتَّى تكون صالحةً للاحتجاجِ.

3/ السُّنَّةُ الش ـريفة الصحيحة، هِي مثل القرآن الكريم في الاحتجاجِ، لا في الإعجازِ، ونحوها من المزايا التي هي من خصائصِ القرآنِ الكريمِ. والتَّعويلُ عَلى

السُّنَّةِ الصحيحةِ؛ لأنَّ " في الصحيحِ غُنيةٌ عَمَّا لم يَصِح ".[1]

4/ تنقسِم مُفسِداتُ الدِّينِ إلى مُفسِدات " مُفَسِّقَةٍ "، وأُخرَى " مبدعةٍ "، و" مكفرةٍ "؛ فليست في ذلكَ سَوَاءً؛ بل هي على دَرَكَاتٍ.

5/ هناك مفسداتٌ واضحاتٌ: كصنيعِ إبليسَ رأسِ الكفرِ، وجنوده، وإخوانه، وأعوانِهِ، وكجَوْرِ المُلُوكِ، وما يتبعُ ذلك من التَّدَاعياتِ الخطيرةِ على الفردِ، والمجتمَع، والأمةِ، وصَنائعِ أحبار السُّوءِ، ونحوها مما فُصِّلَ فيهِ، كما أن هناك عددا لا حصرَ له من مفسداتِ الدِّينِ قد لا يُتَفَطَّنُ إليهِ كإهمالِ اللسانِ العَربيِّ الفصيحِ، واستعاضَتِهِ باللغاتِ العالميةِ كالإنجليزيةِ، والفرنسيةِ، ونحوهما، واللَّهَجاتِ العربيةِ الشَّاذَّةِ، أو الإفريقيةِ، ونحوِ ذلك من رُطانَاتِ الأعاجمِ، وسوى ذلك كثيرٌ مِن حَالقاتِ الدينِ، وناقضاتِهِ عُروَةً، عُروَةً من لا يُدْرَى، أو لا يدري.[2]

6/ للإعلامِ دورٌ لا يُستَهانُ بهِ في إصلاحِ ما عطب من الدِّين، وبعبارةٍ أُخْرَى: في العمليةِ الإصلاحية؛ كونُهُ – أي: الإعلام – السِّلاح الأقوَى، والأمضَى شريطةَ أن يُستخدمَ الاستخدامَ الهادفَ، أو الرَّشيد، وتكون بأيدِي إعلاميِّين مسلمين يدركون هذا الدَّورَ الخطير، ويمارسونه بأمانةٍ، وفاعليةٍ يُبرزون عبرَهُ صُورةَ الإسلامِ الحقيقيَّةَ،

(١) وهي قاعدة لطيفةٌ عندَ العلماءِ مشهورةٌ.

(٢) على حَدِّ قولِ الشَّاعِرِ: فإن كنت تدري؛ فتلك مُصيبةٌ * وإن كنتَ لا تدري؛ فالمصيبةُ أعظَمُ

والنَّاصعةَ، كيف لا، ومستندهُ هذا القرآن الذي يهدي للَّتِي هي أقومُ، والسنة الصحيحة التي لا ينطقُ صاحبُها فيها عنِ الهَوَى؛ إن هو إلَّا وَحْيٌ يُوحَى؟!!!

7/ الإعلامُ المذكورُ لا بُدَّ له من أن يتكامَلَ مع جميعِ أنواعِهِ – قديمِه، وحديثِهِ: من الإعلامِ التقليديِّ، وحتَّى عصر الإعلام الجديد، وشبكات التواصل الاجتماعي، والتطبيقات الحديثة، والوسائلِ المتعددةِ والمستجدة ؛ ليؤدي دورَهُ المنشود.

8/ من الأهميةِ بمكانٍ تكامُلُ " الإعلامِ " مع باقي وسائلِ التربيةِ الأخرَى: كالأُسرَةِ، والشَّارعِ، والمُرَبِّي، والمَسْجِدِ، والمدرسة، والجامعة، وغير ذلك من المؤسسات المؤسسات التربوية؛ ذلك لأنّ العمليةَ الإصلاحِيَّةَ تقومُ بها منظومةٌ متكاملةٌ؛ لتُؤتِيَ أُكلَهَا؛ وإلا ظهرتْ باهتَةً، ومنقوصة بقدرِ تفويتها لما تقدَّمَ.

ثانيا: أهم التوصيات:

يوصي الباحث بالآتي:

1/ ينبغي المحافظة على رأسِ مالِ الإنسانِ، الذي هو " دينُهُ "؛ الذي خُلِقَ من أجلِه؛ وعليهِ ألا يقدم على شَيءٍ من مُفسِداتِهِ.

2/ ضرورة لزوم هديِ القرآنِ الكريمِ والسنة النبوية الصحيحةُ، وما انبثَقَ عنهما من إجماعٍ، أو قياسٍ، وأدلة أخرَى مختلَفٍ فيها عندَ أهلِ العلمِ؛ من أجلِ ضمانِ حياةٍ سعيدةٍ للثَّقَلينِ.

3/ ضرورة التمسك بالسنة الصحيحة؛ لأنَّهَا مثل القرآن الكريم في الاحتجاجِ، لا

في الإعجازِ، ونحوها من المزايا التي هي من خصائصِ القرآنِ الكريمِ. ولا بد من التَّعويلِ عَلى السُّنَّةِ الصحيحةِ؛ لأنَّ " في الصحيحِ غُنيةٌ عَمَّا لم يَصِح "، كما تقول القاعدة الحديثِيَّةُ، السُّنِّيَّةُ، والشرعِيَّةُ الشهيرةُ.

4/ أهمية تجنب مُفسِدات الدين " المُفَسِّقَةِ "، منها و" المبدعةِ "، و" المكفرةِ "؛ لأنها – جميعًا – مُنقِصَةٌ لدِينِ المَرءِ، وقد تنقُضةُ نقضًا، عِياذًا بالله.

5/ لا غنَى للخلق من إدراكِ المفسداتِ المذكورة ما دَقَّ من ذلك، وما جَلَّ –؛ كإهمالِ اللسانِ العَربيِّ الفصيحِ، واستعاضَتِهِ باللغاتِ العالميةِ كالإنجليزيةِ، والفرنسيةِ، ونحوهما، وكَاستِبدالِ اللَّهَجاتِ العربيةِ الشَّاذَّةِ، أو الإفريقيةِ – ونحوِ ذلك من رُطانَاتِ الأعاجمِ –وسوى ذلك كثيرٌ مِن حَالقاتِ الدينِ، وناقضاتِهِ عُروَةً، عُروَةً من لا يُدْرَى، أو لا يُدْرَى.(١)

6/ التوظيفُ الرشيدُ للإعلامِ؛ لإصلاحِ ما عطب من الدِّين؛ بما كسبت أيدِي المسلمين، مع تفريغِ إعلامِيِّينَ مسلمين من ذوي الكفايةِ، والخبرةِ الإعلامية، والشرعيةِ، والقِيَمِيَّةِ ليتبوَّأ المسلمون الريادة في هذا الخصوص، وفي غيره من الأصعدة.

7/ ضرورةً التكامل ما بين الإعلام القديمِ، والجماهيريِّ، والإعلام الجديد – بمَا في ذلك شبكات التواصل الاجتماعِي؛ للقيامِ بالدورِ المذكورِ بمِهنيَّةٍ عاليةٍ، وبصورةٍ تظهر

(١) على حَدِّ قولِ الشَّاعِرِ: فإن كنت تدري؛ فتلك مُصيبةٌ * وإن كنتَ لا تدري؛ فالمصيبةُ أعظَمُ

صورةَ الإسلامِ النَّاصِعَةَ الْمُبَرَّأَةَ من كُلِّ عيبٍ؛ وإن أُلْصِقَ إليهِ – زورًا، وبُهتانًا – عددًا من التصرفات الخاطئةِ لبعضِ المسلمينَ.

8/ من الحكمة تحقيقُ " التكامُل " و " الانسجام " مع باقي المنظومة الإصلاحية التي ينبَغِي أن تكون كلها " وسائل تربوية "، مِثْلَ: الأُسرَةِ، والشَّارعِ، والْمُرَبِّي، والمَسْجِدِ، والمدرسة، والجامعة، وَغير ذلك من المؤسسات التربوية.

ثالثا: أهم المقترحات:

يقترح الباحث العناوين المكملةَ لعُنوانِ بحثِه، وذلك كالآتِي:

1/ مفسدات الدين في القرآنِ الكريم.

2/ مفسدات الدين في السنة النبوية الصحيحة.

3/ مثلية السنة النبوية الصحيحة للقرآن الكريم.

4/ دورُ الإعلام في إصلاحِ مفسدات الدين، والأخلاقِ.

5/ الإعلامُ سلاحُ العصر الأمضَى.

6/ الإعلامُ والإصلاحُ.

7/ الإعلامُ وأنواعُهُ ودورُهُ في التكامل الإصلاحي.

8/ الإعلامُ وباقِي المَنظومات التربوية، وأدوارُهَا الإصلاحِيَّة.

9/ الدين الإسلامي: مفهومُه، وخصائصه، ومفسداته.

10/ مُصلحاتُ الدِّينِ في القرآنِ الكريمِ، والسنةِ الشريفةِ.

8/ من الحكمة تحقيقُ " التكامُل "، و" الانسجام " مع باقي المنظومة الإصلاحية التي ينبَغِي أن تكون كلها " وسائل تربوية "، مِثْلَ: الأُسرَةِ، والشَّارعِ، والمُرَبِّي، والمَسْجِدِ، والمدرسة، والجامعة، وَغير ذلك من المؤسسات التربوية

وأخيرًا، يتمثَّلُ الباحثُ بقولِ البارِي على نَبِيٍّ نَصوحٍ، وصَبُورٍ من أنبيائِهِ: ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾﴾، [1] وكلُ الأنبياء والمرسلين كذلك، وسيدُهم محمد " صَلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ " الذي يعجزُ القلَمُ عنْ وصفِهِ في هذا المقامِ الضَّيِّقِ، وشُهرةُ لك مشهودةٌ في الآفاقِ، إِنْ كُلٌّ إلى قد ضَحَّى بالغالِي والنفيسِ؛ حتَّى قدَّمَ دينَ اللهِ كما أمره الله – تبارك وتعالَى –؛ فتحقَّقَ بذلك البالغُ المبينُ، وانتَفتْ، أو قَلَّتْ عنهم مُفسداتُ الدينِ؛ لصَيْرورةِ كيدِ الشَّيْطَانِ وَجُنْدِهِ كَافَّةً ضَعِيفًا، والله الموفقُ والهادي إلى سواءِ السبيلِ، وهو المسؤولُ بأن يقضِيَ لجميعِ الأُمَّةِ إلى تجنُّبِ مفسداتِ الدين المذكورة، وسواها، وأن يحفظَ لهم دينَهُم القَويمِ الذي يهدِي إلى صراطٍ مُستقيمٍ، وأن يريَهُم اليومَ الذي يرجعُ فيه للإسلامِ والمسلمينَ سالفَ المجدِ، وأن يرفرفَ رايةُ لا إله إلا اللهُ خَفَّاقَةً في سمواتِهم، ووسائِلِهم الإعلاميةِ؛ فينعَمُواْ بتطبيقِ شَرعِ اللهِ تعَالَى ؛ وبالتَّالي: التمكينَ كَمَا وُعِدُواْ: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ

(١) هود: ٨٨.

دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾. (١)

تمَّ البحث وربنا المحمودُ، ذو المكارِمِ، والعُلَا، والجودُ؛ فهو القائلُ: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾، والقائلُ: (٢) ﴿ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾ ﴾، (٣) والقائلُ: ﴿ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾؛ (٤) فالحمد لله رب العالمين؛ الذي بنعمتِهِ تتم الصالحات، ووفقنا للإخلاصِ، واقتفاءِ السُّنةِ الصحيحةِ؛ وبالتالي القَبول، والرضوان، والخلد في جناتِهِ، والنظر لوجهِهِ الكريمِ. صلِّ اللهم، وأنعم، وبارك عَلَى محمدٍ، وآلِهِ، وصحبِهِ، ومَنْ إلى يومِ الدِّينِ تبعَهُ ، ﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾ ﴾. (٥)

---

(١) النور: ٥٥.

(٢) النحل: ٥٣.

(٣) إبراهيم: ٣٤.

(٤) النحل: ١٨.

(٥) الصافات: ١٨٠ – ١٨٢.